العزة الإلهية
في القرآن الكريم

بقلم

د/ محمد سعيد مصطفى الغزال

من ٥٧٧ إلى ٦٧٢

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ،[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا]الكهف١،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله.

وبعد

فإن أجل ما صرفت إليه العقول والقلوب والأفهام هو العناية بكتاب الله – تبارك وتعالى– قراءةً وحفظاً ، وتدبراً وتفسيراً وفهماً وعملاً ، ومن أفضل العلم العلم بالله – تبارك وتعالى– [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ]محمد ١٩؛ وصولاً لتحقيق الغاية الكبرى من الخلق والوجود الإنساني: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ] الذاريات ٥٦: ٥٨

وقد عرف الله – تبارك وتعالى – نفسه لعباده بوحيه الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن ضمن الصفات الإلهية التي عرفها الله – تبارك وتعالى– لعباده المؤمنين به في قرآنه صفة العزة الإلهية ، وقد استخرت الله – تبارك وتعالى– في كتابة هذا البحث بعنوان :(العزة الإلهية في القرآن الكريم) فوفقني الله –تبارك وتعالى– إليه وشرح ، له صدري ، وهذا البحث جاء للتعريف بعزة الله – تبارك وتعالى– التي أثبتها لنفسه في القرآن الكريم ، وأساليب القرآن في عرضها ، وتطرقت إلى الحديث عن عزة القرآن الكريم الذي وصفه الله –تبارك وتعالى – بأنه : [وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ] فصلت ٤١ ، ولتوضيح أن عزة القرآن الكريم فرع عن العزة الإلهية ؛ كون القرآن الكريم كلام الله تبارك وتعالى .

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وفصلين، وخاتمة .

- أما المقدمة فتعرضت فيها للتعريف بالموضوع وأهميته وخطة البحث التي سرت عليها فيه.

- *أما الفصل الأول فجاء في ثلاثة مباحث:*
- المبحث الأول : في معنى العزة لغة واصطلاحاً .
- المبحث الثاني : في الألفاظ ذات الصلة بالموضوع .
- المبحث الثالث : فجاء حول العزة في الاستعمال القرآني.
- *أما الفصل الثاني فجاء في ثلاثة مباحث:*
- المبحث الأول : في ورود العزة الإلهية في الأسماء الحسنى مفردة ومقترنة بغيرها من الصفات .
- المبحث الثاني فجاء في إسناد العزة لله تبارك وتعالى في القرآن الكريم، وبيان أفعال أخرى متفرعة عن صفة العزة الإلهية في القرآن الكريم .
- المبحث الثالث : وتحدثت فيه عن العزة التي أسندها الله تبارك وتعالى لكتابه القرآن الكريم.
- *ثم جاءت الخاتمة* التي ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ، والتوصيات التي يرجى الأخذ بها .

وقد ألحقت بالبحث قائمة لأهم المراجع والمصادر التي استندت إليها في بحثي ، وفهرساً عام لموضوعات البحث ، والله أسأل أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلبي ، وأن يتقبل عملي هذا ويجعله في ميزاني ، وأن ينجيني به من العذاب يوم العرض عليه "رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ] البقرة ٢٨٦

الفصل الأول [التمهيـــد]

وفيه ثلاثة مباحث

- المبحث الأول : المعنى اللغوي والاصطلاحي للعزة ، وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : التعريف اللغوي .
- المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي.

- المبحث الثاني : في الألفاظ ذات الصلة بالعزة ، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الألفاظ المقاربة للفظ العزة .
- المطلب الثاني : الألفاظ المقابلة للفظ العزة.

- المبحث الثالث: العزة في الاستعمال القرآني.

المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للعزة

المطلب الأول : التعريف اللغوي:

العزة في اللغة مصدر مشتق من مادة (ع ز ز) ، والعين والزاي في اللغة أصل صحيح واحد يدل على الشدة والقوة وما ضاهمها من الغلبة والقهر،وقد تفرعت عدة معاني في اللغة العربية للعزة عن هذا الأصل ؛ فورد لفظ العزة في اللغة العربية على وجوه متعددة كما يلي :

١- بمعنى القوة والغلبة والنصرة ، والامتناع عن الضعف ، يقال عز القوم على أعدائهم إذا انتصروا عليهم ، ويقال عز الرجل بعد ذلة إذا قوي بعد الضعف الذي كان عليه ، قال الشاعر :

لنا العِزة القعساء والبأس والندى ... بدينا بها في كل نادٍ وفي حفل ، يريد: لنا الغلبة والمنعة ، والقعساء أي الثابتة ([1]) .

---

[1] – انظر/ معجم مقاييس اللغة ٣٨/٤ أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، ط اتحاد الكتاب العرب ، الاشتقاق ٤٧/١ أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد ، الاشتقاق ٤٧/١ نشر مكتبة الخانجي / القاهرة ط٣ بدون تاريخ نشر

٢- بمعنى الشرف والكرامة والتأبي عن حمل المذلة : يقال تعزز الرجل بقبيلته ، وهو يعتز بفلان واعتز به أي تشرف([1])

٣- بمعنى الشدة والصلابة ، والصعوبة : يقال تعزز لحم الفرس ، إذا غلُظ واشتد ، وتَعَزَّز لحمُ الناقة : اشتدَّ وصَلُبَ وتَعَزَّزَ الشيءُ اشتدّ ، قال المُتَلَمِّسُ :

أُجُدٌ إذا ضَمَرَتْ تَعَزَّزَ لَحْمُها *** وإذا تُشَدُّ بِنِسْعِها لا تنْبِسُ ، والأرض العَزاز هي الأرض شديدة الصلابة. (٢)

٤- بمعنى الحمية والأنفة : وعلى ذلك صرفوا قول العرب :" إذا عز أخوك فهِن " أي: إذا حمي و تعاظم أخوك فتهاون معه، وداره ولا تصطدم به ([3]).

٥- بمعنى التحصن من النيْل وهو المنعة ، والحفظ من التغيير والتحريف: وذلك كقول الشاعر في حق عُقاب كانت تسكن عاليةً لا ينالها أحد : حتى انتهيتُ إلى فراشِ عزيزةٍ ... سوداءَ روثةُ أنفِها كالمِخصف ، يعني عقاباً ممتنعة في أعلى جبل لا يتمكن أحد أن ينالها بأّذى كونها ممتنعة منهم ([4]).

---

١ – انظر / محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، مختار الصحاح ٤٦٧/١ ، ط مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ط أولى ١٩٩٥ ، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي / معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ٢٠٣/١ ط مكتبة الآداب القاهرة ٢٠٠٤ م بتحقيق أ.د محمد إبراهيم عبادة.

٢ – انظر/ لسان العرب ٣٧٤/٥ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ط دار صادر – بيروت ، تاج العروس من جواهر القاموس ٢٢٢/١٥ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ط دار الهداية ، أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد ، الاشتقاق ٤٧/١

٣ – انظر / محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،تاج العروس من جواهر القاموس ٢٣١/١٥ ، مختار الصحاح ١/ ٤٦٧

٤ – البيت لأبي كبير الهذلي انظر/ جمهرة الأمثال ٢٥٧/١ أبي هلال العسكري / دار الفكر ١٩٨٨ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش.

٦- بمعنى القلة و النفاسة وعلو القيمة :فقولهم للشيء عزيز أي قليل الوجود يكاد ينعدم،وقالوا هو اعْتِبارٌ بما قيل : كلّ موجودٍ مَمْلُولٌ وكلّ مَفْقُودٍ مَطْلُوبٌ ، وجمعها عِزَازٌ ، بالكسر ، وأَعِزَّةٌ ، وأَعِزَّاء ([١]).

٧- بمعنى الصعوبة والمشقة والعنت: وذلك إذا تعدى بحرف الجر "على " من قولهم : يعز عليَّ أن أراك في حال سيئة ، أي يشق عليَّ ويصعُب أن أراك هكذا ، ومنه قول الشاعر : يعز علي أن أطويه صفحاً *** وَأذْهَبَ عَنْهُ نَأياً أوْ بعَادَا ، يريد يشق علي ويصعب علي أن أطويه صفحاً، ومثله أيضا قول الشاعرفي الرثاء :

يعزُّ عليّ أن نغدو جميعاً ... وتصبِحَ ثاوياً رَهْنا بِوادِ (٢).

٨- والعَزة: بفتح فتشديد هي الانتصار في الاحتجاج ، وهي أيضا بنت الظبية ، وبها سميت المرأة عَزة ، قال الراجز:

هانَ على عَزّةَ بنتِ الشَّحَّاجْ **** مَهْوَى جِمالِ مالِك في الإدْلاجْ ([٣])

●وقد تأتي بمعنى السيولة كقولهم :" عز الماء يعِز ، وعزت القرحة تعِز بالكسر : إذا سال ما فيها ([٤])، وهكذا يتضح أن لفظ العزة يأتي بمعانٍ متنوعة كما سبق بيانه .

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للعزة

تحدث الأئمة في معنى العزة فاختلفوا في التوجيه على ما يلي :

١- قال الراغب الأصفهاني في مفرداته : " العزة: حالة مانعة للإنسان من أن يغلب من قولهم: أرض عزاز أي: صلبة .. وقيل: من عز بز: أي من غلب سلب .... إلى أن قال : وقد يمدح بالعزة تارة ، ويذم بها تارة كعزة الكفار، ووجه ذلك أن العزة التي

---

[١] – انظر / محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،تاج العروس من جواهر القاموس ١٥/ ٢٢٢

٢ – البيت الأول للشريف الرضي ، والبيت الثاني للشاعر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح الشهير بـ كثير عزة ، انظر / الأغاني ٢١٠/١٢ أبي الفرج الأصفهاني / الأغاني ٢١٠/١٢ ط دار الفكر – بيروت

[٣] – انظر / لسان العرب ٣٧٤/٥ ، الصحاح في اللغة ٢٤/٤ ، تاج العروس ٢٢٢/١٥

[٤] – انظر/ لسان العرب ٣٧٤/٥ ، تاج العروس من جواهر القموس ٢٢٠/١٥

لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقية التي هي العزة الحقيقية، والعزة التي هي للكافرين هي التعزز المذموم " ([١])، فالإمام في هذا التعريف يتناول وجهاً واحداً من وجوه العزة وهي العزة التي تعني القوة والغلبة والنصرة ، والامتناع عن الضعف.

٢- وعرفها السيوطي بقوله : " العزة هي التأبي عن حمل المذلة ، والدفع عما تلحقه غضاضة ([٢])، وهو هنا يؤكد كما نرى على الشعور الداخلي الذي يدفع الإنسان لرفض المذلة ، والبعد عما لا يليق به.

٣- وعرفها الألوسي بقوله: "هي الحالة المانعة من المغلوبية "([٣]).

٤- وعرفها الشيخ ابن عاشور بقوله : " وَالْعِزَّةُ:الشَّرَفُ وَالْحَصَانَةُ مِنْ أَنْ يُنَالَ بِسُوءٍ"([٤]).

٥- وقد أورد غير واحد من لمفسرين أن المراد بالعزة يكاد ينحصر في الغلبة والمنعة والنصرة([٥])، والتعريفات السابقة كل منها اقتصر في الحديث على وجه للعزة دون

---

[١] – انظر/ مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٩٠/٢ الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم نسخة محققة ط دار القلم دمشق.

[٢] – انظر / معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ٢٠٣/١

٣ – انظر / روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١١٦/٢٨ محمود الألوسي أبو الفضل ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٤ – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ٢٢ / ٢٧١ ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، ط الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٥ – انظر / تفسير الطبري ٨٨/٣ ، ٢٤٤/٤ المسمى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ط دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م / التحرير والتنوير ٢٠٢/١٧ ، مفاتيح الغيب ١٨٧/١٦ فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥٤١/٧ ، محمد الأمين بن

غيره ؛ لذا يمكن تعريفها :" هي صفة مشتركة في اللفظ دون المدلول بين الإنسان وخالقه ، وتعنى في حق الخالق:القدرة والمنعة والقهر المطلق للمخلوقات، أما في حق الإنسان فإنها تعني ذلك الشعور بالشرف والامتناع عن أن ينال بسوء ، وقد يكون ذلك بالحق إذا استند إلى قوة العزيز القوي، كما قد يكون بالباطل إذا استند إلى غيره–سبحانه وتعالى".

المبحث الثاني : في الألفاظ ذات الصلة ، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول : الألفاظ المقاربة (الشدة– القوة – الغلبة – النصرة – الرفعة – الحمية –العظمة)
- المطلب الثاني : الألفاظ المقابلة (الذلة ـــ الهزيمة – الضعف)

المطلب الأول : الألفاظ المقاربة (الشدة- القوة – الغلبة – النصرة – الرفعة – الحمية -العظمة)

تعددت الكلمات المرادفة للعزة في القرآن الكريم ، وقد وردت في كثيرٍ من المواضع القرآنية كما سيتضح ، ولعل ذلك راجع إلى أن القرآن مصدره كله واحد[كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ]هود / ١ ،وأن القرآن يفسر بعضه بعضا كما قرر العلماء ،ومن أهم الكلمات التي وردت في القرآن الكريم مرادفة لكلمة العزة ما يلي :

١–الشدة : وتعني الصَّلابةُ ، وهي نَقِيضُ اللِّينِ ،وتكون في الجواهر والأَعراض ([١]) ، وقد ورد الوصف بهذه الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم كثيراً .

محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م ،

[١] – انظر/ لسان العرب ٢٣٢/٣ ، وانظر المحكم والمحيط الأعظم ٣/ ٣٥٢

– فتارة يصف بها الله –تعالى– عقابه بقوله :[شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ] البقرة / ١٩٦ ، ٢١١ ، آل عمران / ١١ ، المائدة/٢ ، ٩٨ ، الأنفال /١٣، ٢٥ ، ٤٨ ، ٥٢ ، غافر / ٣، ٢٢ ، الحشر/ ٤، ٧ .

–وتارة يصف الله تبارك وتعالى بها عذابه بقوله [وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ]البقرة/١٦٥ ، وقوله تعالى [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ] آل عمران/٤ وقوله تعالى[سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ] الأنعام/ ١٢٤ ،وقوله تعالى [وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ]إبراهيم/٢ وغيرها من الآيات.

– وتارة يصف الله تعالى بها النبي محمداً –صلى الله عليه وسلم – ومن تبعه من المؤمنين في مواجهة أعداء الله – تبارك وتعالى:[مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ] الفتح / ٢٩ . ولعل وصف النبي وصحبه ههنا هو المرادف لقوله– تعالى :[أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ] المائدة/٥٤ .

٢– القوة :هي القدرة على الفعل وهي ضد الضعف ، والطاقة من طاقات الحبل ، وتمكن الحيوان من الأعمال الشاقة والمؤثر الذي يغير أو يميل إلى تغيير حالة سكون الجسم أو حالة حركته بسرعة منتظمة في خط مستقيم ([1]) ، والذي يربط بين العزة والقوة هو أن القوة غالباً ما تكون سبيلاً لتحقيق العزة ، فإن كان المستخدم لتلك القوة ، والمنتفع بها عاملاً لدين الله– تعالى ومدافعاً عن حدوده كانت هي القوة المأمور بها ، والسبيل لتحقيق العزة التي ضمنها الله– تعالى– لعباده المؤمنين ؛ فأمرهم بإعداد القوة اللازمة لتحقيق العزة بقوله:[وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا

[1] – انظر/المعجم الوسيط ٧٦٩/٢ مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتحقيق(إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات / حامد عبد القادر /محمد النجار) ط دار الدعوة، ختار الصحاح١/ ٦٦٠

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ]الأنفال /٦٠، وإن كان الحائز لتلك القوة غير مؤمن بالله – تعالى– كانت قوته داعية إياه للتعزز المذموم ،وهي الحمية التي دفعت الكافرين والمنافقين لذلك بقوله – تعالى [وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ] البقرة/ ٢٠٦ وقوله –تعالى: [بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ]ص/٢ ، ولعلها القوة المذكورة في قوله – تعالى [وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً] فصلت /١٥ أَى بطشاً فى الأَخذ، وكذا قوله: [وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ] محمد/١٣

كذلك فقد فسر بعض المفسرين كلمة عززنا وهو أحد مشتقات العزة من قوله تعالى:[إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ] يس /١٤ بأنها قوينا ، من القوة([١])، وقد ورد هذا اللفظ في القرن القرآن الكريم في غير ما موضع للتعبير عن معانٍ متعددة ، فقد تستعمل فى قوة البدن والقلب تارة، وفى المعاونة من خارج النفس تارة، وفى القدرة الإلهية تارة .

– ففى قوة البدن قوله – تعالى حكاية عن قوم عاد:[وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً] فصلت /١٥ ، وقوله– تعالى– عن طلب ذي القرنين ممن بعث إليهم المعاونة:[فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ] الكهف/ ٩٥ ، فالقوَّة هاهنا قوَّة البدن؛ بدلالة أَنه رغب عن القوّة الخارجة عنه بقوله [مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ]الكهف/ ٩٥

---

١ – انظر/ تفسير الطبري ٥٠١/٢٠ ، البحر المحيط في التفسير ٣٢١/٧ ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، طبعة: ١٤٢٠ هـ ، النكت والعيون ١٠/٥ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٨٩٨ ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ تفسير ابن كثير ٥٦٩/٦

– وفى طلب المعونة من الخارج جاء قوله – تعالى– حكاية عن نبي الله لوط الذي واجه انحراف قومه وأراد لهم العزة فانتكسوا للذلة والخسار فقال لهم: [لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً] هود/٨٠ وقيل معناه: مَن يتقوى به من الجُنْد، وما يتقوى به من المال، ونحو قوله– تعالى– في وصف قوم سبأ : [قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ]النمل / ٣٣

– وفى الحديث عن القوة المراد بها القدرة الإلهِيَّةَ قوله – تعالى :[إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ]الأنفال/٥٢ ، وقوله [فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ]غافر/ ٢٢ وقوله [إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ] الحديد/٢٥ المجادلة /٢١.وقوله: [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ]الذاريات/٥٨ وهو عامّ فيما اختصّ الله به من القدرة اللامحدودة .

– وأما الحديث عن القوة التي جعلها الله– تعالى– للخلق، فمنها قوله – تعالى: [وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ] هود/ ٥٢ فقد ضمن الله – تعالى– أَن يعطى كلَّ واحد منهم من أَنواع القوة ما قدره سبحانه وتعالى له.

– وقوله:[ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ] التكوير/ ٢٠ المراد به وصف جبريل عليه السّلام، حيث وصفه بالقوّة عند ذى العرش،فأَفرد اللفظ ونكَّره فقال:"ذى قوّة " تنبيهاً أَنَّه إذا اعتبر بالملإِ الأَعلى فقوته إِلى حدّ ما،وأما قوله:[عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى] النجم/ ٥ فإِنه وصفه بالقوّة بلفظ الجمع، وعرّفها تعريف الجنس؛تنبيهاً أَنه إِذا اعتبر بهذا العالم وبالذين يُعلِّمهم ويُفيدهم هو كثير القُوّى عظيم القدرة.

– وأما قوله تعالى:[يايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ]مريم/١٢ فالمراد : بجدّ وعزيمة شديدة، وكذا قوله: [خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ] البقرة /٦٣ ، ٩٣ ، والأعراف ١٧١ .

٣– الغلبة: الغين واللام والباء مادة لغوية تعبر عن الظفر والقهر للعدو يقال غلبه غَلَبَةً: أي قهره ، والغلبة تكون بفضل القدرة وبفضل العلم يقال قاتله فغلبه ، وصارعه فغلبه وذلك لفضل قدرته ، وتقول حاجَّه فغلبه(١) .

والرابط بين الغلبة والعزة هو أن الغلبة سبيل وطريق لتحقيق العزة ؛ ولذا عدها أبو سليمان الخطابي([٢])أحد أوجه العز في كلام العرب ؛ فقرر أن من معاني العز الغلبة ، وجعل منه قولهم:(من عز بز ، أي :من غلب سلب)،ويقال منه: عز يعُزُّ – بضم العين –وجعل منه قوله – تعالى :[وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ] ص/ ٢٣ ، وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعاً، ردها العلماء لأوجه أربعة([٣])وهي :

–أحدها : القهر: وجعلوا منه قوله–تعالى:[وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ]يوسف/٢١ وقوله تعالى في الصافات [وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ]الصافات/١٧٣

---

[١] – انظر / معجم الفروق اللغوية ٢٦٧/١ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢ – انظر / نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ٤٣٥/١ ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن / ط مؤسسة الرسالة – لبنان / بيروت –ط أولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م بتحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي .

٣ – انظر/ بصائر ذوي التمييز ٤/ ١٤٣ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ٤٥٥/١ ،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي،الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م

– الثاني : القتل: وجعلوا منه قوله – تعالى– [قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ]آل عمران١٢ .

– والثالث : الظهور : وجعلوا منه قوله – تعالى– :[قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا]الكهف/٢١

– والرابع : الهزيمة : وجعلوا منه قوله – تعالى : [إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا]الأنفال/٦٥ ، وقوله تعالى: [الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ]الروم /١، ٢ ، ٣

٤– النُّصرة : من الألفاظ المقاربة في معانيها من لفظ العزة ويراد به حُسْنُ المَعونَةِ ؛ قال العلماء النصر إعانة المظلوم ، نصَره على عدوّه ينصُره ، ورجل ناصِر من قوم نُصَّار، وقد خصها بعضهم بالمعونة على المنازع المغالب ، والخصم المناوئ المشاغب دون غيرها من أشكال المعونة فكل نصر معونة وليست كل معونة نصراً .(١)

وقد تواترت المادة اللغوية لهذه اللفظة في القرآن الكريم بشكل كبير ، حيث فاقت مشتقاتها الـ ٩٠ موضعاً من كتاب الله – تعالى– في أساليب وتراكيب متنوعة .

والرابط بين هذه اللفظة وبين لفظة العزة في القرآن الكريم هو أن النصر ممهد الطريق للعز ، بل جعل بعض المفسرين معنى التعزيز الوارد في قوله تعالى [فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ] يس/١٤ هو نصرناهم بثالث ؛ قائلا :" فَالْأَحْسَنُ أَنَّ التَّعْزِيزَ هُوَ النَّصْرُ "(٢) .

---

[١] – انظر/ لسان العرب ٥/٢١٠ ،المصباح المنير٢/٦٠٧ ، والفروق اللغوية ١/٤٥٠

[٢] – انظر / التحرير والتنوير٢٢ /٣٦٠

كذلك عد بعضهم معنى اتخاذ الآلهة عزاً من دون الله – تعالى– لدى الكافرين لوناً من ألوان التناصر؛ فأجرى لفظة العز مجرى المناصرة في قوله – تعالى:[وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا] مريم ٨١ ، قال الشيخ ابن عاشور – رحمه الله تعالى : "ومعنى [لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً] أي ليكونوا معزين لهم، أي ناصرين " ([١]).

٥–الرفعة:وهي العلو والسمو، وحيازة الشرف العالي ،وقد عدها ابن منظور من مرادفات العزة فقال:والعِزُّ والعِزَّة الرفعة والامتناع ، وقال الزبيدي: والرِّفْعَةُ بالكَسْر:نَقيضُ الذِّلَّةِ وخِلافُ الضِّعَة (٢).

والرابط بين الرفعة والعزة هو أن العزة تعبر عن المكانة السامقة بين الخلق ، وهي الرفعة التي ذكرها العلماء ، وهي الواردة في قوله –تعالى:[وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ]البقرة ٢٥٣ ، وقوله – تعالى [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ] الأنعام ١٦٥ ، وقوله – تعالى: [وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ] الأنعام ٨٣ ، وقوله – تعالى: [نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ]يوسف ٧٦.

وهذا التركيب كناية عن الإعزاز من الله–تعالى– لمن يشاء من خلقه ، إذ إن رفع الدّرجات تمثيل لتفضيل الشأن ، شبّهت حالة المفضّل على غيره بحال المرتقي في سُلَّم ، إذا ارتفع من درجة إلى درجة ، وفي جميعها رفع ، وكلّ أجزاء هذا التمثيل صالح لاعتبار تفريق التّشبيه،فالتّفضيل يُشبه الرّفع،والفضائل المتفاوتة تشبه الدّرجات، ووجه الشّبه عِزّة حصول ذلك لغالب النّاس([٣]).

---

١ – التحرير والتنوير ١٦٣/١٦

٢ – لسان العرب ٣٧٤/٥ ، وانظر تاج العروس من جواهر القاموس ١١١/٢١

[٣] – انظر التحرير والتنوير ٣٣٥/٧

٦- الحمية : وهي الأَنَفَة والغَيْرة ، والاستكبار غضباً يقال فلانٌ ذُو حَمِيَّةٍ مُنْكَرَة : إذا كانَ ذا غَضَبٍ وأَنَفَةٍ ، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في موضعٍ واحد ، قوله تعالى: [إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا]الفتح ٢٦

ووجه ارتباط هذه اللفظة بلفظة العزة هو أن العرب اعتبرت الحمية نوعاً من أنواع التعززكقولهم في الكلام الفصيح:" إذا عَزَّ أَخوكَ فَهِنْ " والعرب تقوله وهو مَثَلٌ معناه إذا تَعَظَّم أَخوكَ شامِخاً عليك فالْتَزِمْ له الهَوانَ،قال الأَزهري : المعنى إذا غلبك وقهرك ولم تقاوِمْه فتواضع له ؛ فإِنَّ اضْطِرابَكَ عليه يزيدك ذُلاً وخَبالاً"([1]).

وقال الإمام ابن الجوزي- رحمه الله: والعزة في القرآن على نحو من ثلاثة، وذكر في النوع الثالث أن العزة هي الحمية([2]) ، وجعل منه قوله – تعالى: [وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ] البقرة٢٠٦ ، وقوله – تعالى: [بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ]ص ٢ ([3]) .

٧- العظمة: من الألفاظ المتقاربة مع لفظة العزة ،ويراد بها الكبر والتعظم والنخوة والزهو ؛ وفي الأصل أنها صفة مخصوصة لله – تبارك وتعالى- ولذا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ:" الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي

---

[1] – انظر/ لسان العرب ٣٧٦/٥ ،تاج العروس ٢٣١/١٥ ، القاموس المحيط ٦٦٥/١ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، مختار الصحاح ١/ ٤٦٧

٢ – انظر/ تذكرة الأريب في تفسير الغريب ٣١/١ ،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ ط دار الكتب العلمية ، بيروت ط أولى ٢٠٠٤ ،

[3] – انظر / تفسير الطبري ٢١/ ١٤١ ، تفسير ابن كثير ٥١/٧

فَمَنْ نَازَعَنِي شَيْئًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ"([١])،فهو العَظِيمُ الذي جاوَزَ قدْرُهُ ؛ وجلَّ عن حدودِ العُقول حتى لا تُتَصَوَّر الإحاطةُ بِكُنْهِه وحَقِيقتهِ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: [فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ]([٢]) :أي اجْعلُوه في أنْفُسِكم ذا عَظمةٍ، وعَظمةُ اللهِ –سبحانه–لا تُكَيَّفُ ولا تُحدُّ ولا تُمثَّل بشيء ، ويجبُ على العبادِ أن يَعْلَمُوا أنه عظيمٌ كما وصَفَ نفْسه وفَوْقَ ذلك بلا كَيفِيَّةٍ ولا تَحْديدٍ([٣]).

والرابط بين العزة والعظمة هو اعتبار المنزلة التي يتحصلها المرء حال اتصافه بالعظمة ،وكأنه أضحى عزيزاً ، ويخلط كثير من الناس بين العزة الممدوحة والعظمة ، ولعل ذلك عائد لدقة معنى العزة التي لا تنال إلا بمرضاة الله– تعالى .

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ العزة في غير ما موضع فسره بعض المفسرين بالعظمة ، من ذلك قوله تعالى : [قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ] هود٩١ ، وفي حكاية ما فعله سحرة فرعون قوله– تعالى: [فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا

---

١ حديث صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٤٢٧ حديث رقم ٩٥٠٤ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ موعلق عليه شعيب الأرنؤوط : صحيح وهذا إسناد حسن .

٢ – حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه حديث رقم ١١٠٢ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِى بَكْرٍ فَقَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ أَلاَ وَإِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِى الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ ».صحيح مسلم ٤٨/٢ باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود .

٣ – انظر / تهذيب اللغة ١٨٢/٢

لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ]الشعراء٤٤ حيث ذهب فريق من المفسرين إلى أن المراد بالعزة في الموضعين العظمة([١]).

[١] – انظر / بحر العلوم للسمرقندي ١٦٨/٢ ، تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ١٣٠ ، ٤٥٠/٢ ، القاموس الوجيز ٣٦/١ ، روح المعاني ٧٨/١٩ ، زاد المسير ١٢٤/٦

المطلب الثاني الألفاظ المقابلة للعزة :(الذلة – الهزيمة – الضعف)

لما كان اللفظ يظهر معناه ويتضح بمضاده ومقابله؛لذا لزم الوقوف على ما يقابل لفظ العزة من الألفاظ لعل ذلك يقرب المراد لهذا اللفظ ، ومن أهم الألفاظ المقابلة للفظ العزة في القرآن الكريم ما يلي :

١–الذلة : مشتقة من الذل وهو الخسة والضعة،وهو نقيض العِزِّ ، يقال ذلَّ يذِلُّ ذُلاً وذِلَّة وذَلالة ومَذَلَّة ؛ فهو ذلِيل بَيِّن الذُّلِّ والمَذَلَّة من قوم أَذِلاّء وأَذِلَّة ، وقيل: الذُّلُّ – بالضمِّ –: ما كان عن قهر، والذِّلُّ – بالكسر: ما كان بعد تصعُّب من غير قهر،وفي أَسماء الله – تعالى– المُذِلُّ ،وهو الذي يُلْحِق الذُّلَّ بمن يشاء من عباده ، وينفي عنه أَنواع العز جميعها. (١)

وقد قيل إذا كان الذل من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود ، وقد ورد في القرآن الكريم ألفاظ مشتقة من هذا الأصل (ذ ل ل) ومعظمها يحمل ظلالا من المعاني سالفة الذكر ، من ذلك ما ورد في وصف الرابطة والعلاقة بين المؤمنين وبعضهم البعض وأنهم لينوا الجانب لبعضهم ؛ يقول الله – تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ]المائدة ٥٤ ، فالمراد بذلة المؤمنين في هذا الموضع هو لين جانبهم لإخوانهم ورحمتهم بهم ، وقد ورد تفسيرها وبيان نفس العلاقة بأنها الرحمة في موضع آخر في القرآن الكريم :[مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ]الفتح ٢٩ ، حيث أطلق الذل على لين الجانب والتواضع، وهو مجاز، ومنه ما في هذه الآية.فالمراد هنا الذل بمعنى لين الجانب وتوطئة الكنف، وهو شدة الرحمة والسعي للنفع، ولذلك علق به قوله: " عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" ،ولتضمين

---

١ – انظر لسان العرب ٢٥٦/١١ ، معاني القرآن ١٤٢/٤ أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ) ط ج أم القرى ١٤٠٩ هـ

" أذلة" معنى مشفقين حانين عدي بعلى دون اللام، أو لمشاكلة " على " والأعزة جمع العزيز فهو المتصف بالعز وهو القوة والاستقلال.([1])

كذلك ورد أيضا في القرآن الكريم هذا الجمع وصفا لحالة المؤمنين يوم بدر في قوله – تعالى:[وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] فجاءت كلمة أذلة هنا كناية عن الضغف والقلة.

وقوله تعالى: [وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا] الإسراء ٢٤ فالمراد بها هو الرفق واللين لأقصى درجة ممكنة ، وأما قوله تعالى:[قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ]النمل٣٤ فالمراد به هو تحويل حالة الملوك من العز إلى الذل ومن الشرف إلى الإهانة ومن الرفعة إلى الضعة ،ومن القوة إلى الضعف ، ويكون ذلك بالسيف والقوة ، وسبي الأموال والذراري ، وتبديل الأحوال بالنسبة لهم.

وقوله تعالى : [ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ]آل عمران ١١٢ وردت في حق اليهود فقد جعل الله الهوان والصغار أمرًا لازمًا لهم لا يفارقهم أبدا؛ فهم أذلاء محتقرون أينما وُجِدوا، وحيثما حلوا ([2]).

---

[1] – التحرير والتنوير ١٣٦/٥

[2] – انظر / التفسير الميسر ٤١١/١ ، الدر المنثورفي التفسير بالمأثور ٢٩٥/٢ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت ، و تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ١٠٤/٢، ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،المحقق: محمد حسين شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ

٢-: الهزيمة: الهزيمة في اللغة هي غَمْز الشيء باليَدِ فيَنْهَزِمُ في جوفه ؛ كما تَغْمِزُ القَناةَ فتَنْهَزِم ، وكذلك القِربةُ تَنْهَزِم في جوفها، وهَزَمَ الشيءَ يَهْزِمُه هَزْماً فانْهَزَمَ : غمَزه بيده فصارت فيه وَقْرةٌ كما يُفْعل بالقِثّاء ونحوه . ([١])

والهزيمة الانكسار والغلب ، تقول انهزم الجيش أي انكسر وغلب ، وهو ما يؤدي لذلة الطرف المهزوم وهو عين ما عبرت عنه بلقيس ملكة سبأ في حديثها لأهل المشورة من قومها بقولها : [إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ]النمل ٣٤ .

وفي التزيل ورد قوله – تعالى– في قصة طالوت وجالوت أن المؤمنين من أتباع طالوت هزموا جالوت الجبار؛ يقول–تعالى : [فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ] البقرة ٢٥١ ، ويقول تعالى: مبيناً سنته الماضية في المكذبين بدين الله – تعالى – إلى يوم القيامة [سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ]القمر٤٥ .

و لما كان من معاني العزة النصر والظفر والتمكن والغلب كان هناك ارتباط خفي مع لفظة الهزيمة والانكسار إذ الهزيمة لطرف تؤدي لإحلال الذل به ، والنصر لطرف يؤدي لتحقيق العز له .

٣– الضعف: وصفٌ من الضَّعف ، وهو الوهن ، الضُّعف والضَّعف: خلاف القوة،وقد ضعَف وضعُف فهو ضعيف، وقوم ضعاف وضعفاء وضعف، وفرق بعضهم بين الضعف والضعف فقال: [الضَّعف] – بالفتح – فى العقل والرأى، والضُّعف بضم – فى الجسد، ورجل ضعوف، أى ضعيف ، من العجز والقصور، والوهن .([٢])

---

[١] – انظر / لسان العرب ٦٠٨/١٢ ، المصباح المنير ٦٣٨/٢ ،

[٢] – انظر/ أساس البلاغة ٧٦/٥ ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، العباب الزاخر ١/ ٤٥٨

وقد وردت مادة (ض ع ف) في القرآن الكريم فيما يزيد عن ثلاثين موضعاً ، والنسبة الغالبة منها وردت للحديث عن الاستضعاف ، وهو هوان المرء وعدم أخذه بأسباب القوة التي سخرها الله – تعالى– لمن في الأرض أجمعين ، وعلى كل حال فقد تحدث القرآن الكريم عن الموصوفين بهذا الوصف على سبيل الكراهية لهذه الحال التي يضع بعض الناس أنفسم فيها على الرغم مما حباهم الله – تعالى – من عطايا وقدرات يستطيعون بها رد الأذى عن أنفسهم لو أرادوا .

والرابط بين الاستضعاف والعزة هو أن العزة في وجه من أوجهها للتعبير عن القوة والغلبة ، فالضعف والاستضعاف ضدها من هذا الوجه ، قال الله تعالى: [قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ]الأعراف ٧٥ وقال تعالى: [وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ] القصص ٥ ، وقال تعالى[وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]سبأ٣١ ،٣٢ ،٣٣.

وفي حديث القرآن عن العجز والوهن في الموصوف بهذا الوصف قال الله – تعالى: [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ] الروم ٥٤.

المبحث الثالث: العزة في الاستعمال القرآني.

تعددت وتنوعت التفسيرات الخاصة بالدلالات المقصودة من لفظ العزة في القرآن الكريم حسب إسناد العزة ، واجتهاد كل مفسرٍ من المفسرين في الوقوف على مراد الله – تعالى– من القرآن.

وقد استعمل القرآن الكريم لفظ العزة باشتقاقاته المتعددة للدلالة على معانٍ متنوعة كما يلي :

أولاً:العزة بمعني القوة والقدرة والقهر المطلق : وذلك في جميع الآيات التي ورد فيها أي لفظٍ مشتقٍ وصفاً لله – تبارك وتعالى– أو بياناً لفعلٍ مسند لله – تبارك وتعالى– للدلالة على العزة في حق الله ، من ذلك وصفه – تعالى– نفسه بالعزيز ، هذا الاسم سواء ورد معرفا أو وصفاً عارياً عن التعريف يدل على هذه القوة والقدرة الطليقة ، فقد ورد الاسم معرفاً في القرآن الكريم اسماً لله – تبارك وتعالى – في أكثر من ستين موضعاً كقوله – تعالى:[رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]البقرة ١٢٩، وقوله تعالى : [هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] آل عمران ٦ وذلك دلالةً على اسمٍ من اسمائه الحسنى – سبحانه وتعالى–كما ورد هذا الاسم وصفاً منكراً في ٢٢ موضعاً من القرآن الكريم في مثل قوله – تعالى: [فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]البقرة٢٠٩ ، وقوله – تعالى:[فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] البقرة ٢٢٠، فجميع الآيات التي ورد فيها هذا الاسم فسره المفسرون بأنه القوي المقتدر الذي لا يغالبه أحدٌ قط ([١]).

---

١ – انظر/ تفسير الطبري ٨٨/٣ ، الجامع لأحكام القرآن ١٤٧/١٨ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٧١/٤،المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري

ومن هذا الباب– أيضاً – استخدام لفظ العزة مضافاً للربوبية ، وذلك في قوله – تبارك وتعالى : [سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ]الصافات ١٨٠ قال المفسرون:"الربوبية إشارة إلى كمال الحكمة والرحمة ، والعزة إشارة إلى كمال القدرة ، فقوله : " رب العزة " يدل على أنه القادر على جميع الحوادث ، لأن الألف واللام في قوله : " العزة " يفيد الاستغراق وإذا كان الكل ملكاً له لم يبق لغيره شيء فثبت أن قوله :"سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ" كلمة محتوية على أقصى الدرجات وأكمل النهايات " ([١]).

ثانيا : العزة يراد بها القوة والنصرة :

وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في أكثر من موضع ؛ من ذلك قوله – تبارك وتعالى–:[الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا] النساء ١٣٨ ، ١٣٩قال المفسرون في قوله– تعالى :" أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ "يعني أيبتغون منهم المنعة والنصرة ، وذلك بموالاتهم ومما لأتهم على المؤمنين([٢])، ومثل ذلك أيضا قوله – تعالى– في حق الكافرين:[وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا]مريم ٨١ قال المفسرون: يراد بذلك أن المشركين ركنوا إلى تلك الأوثان لعلها تمنعهم وتنصرهم من دون الله– تعالى– ، وهو من باب الولاية التي حرمها الله – تعالى – إلا له ، فلم تكن تلك الآلهة المدعاة قادرة على شيء من ذلك بل تبرأ كل منهم من الآخر ، والأوثان نفسها ستكفر بعبادة أولئك لهم طلباً لنصرتهم قال – تعالى: [كَلَّا سَيَكْفُرُونَ

(المتوفى: ٨٥٠هـ)،المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ .

١ – انظر / اللباب في علوم الكتاب ٣٦٠/١٦ أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، ط دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان، ط أولى ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م ، تفسير السراج المنير ٤٧٩/٣ محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين ، ط دار الكتب العلمية. بيروت .

٢ – انظر / تفسير الطبري٩/ ٣١٩ ، التحرير والتنوير ٢٨٣/٤ ، تفسير البحر المحيط ٣٠٣/٣ .

بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا]مريم ٨٢ ومثل ذلك تماماً بتمام ما يفعله بعض الأشخاص باتباعهم بعض المستكبرين لعلهم ينصرونهم أو يمنعون عنهم شيئاً من عذاب الدنيا، وما هم يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً .([1])

ومن هذا الباب أيضا ورد قوله – تعالى: [وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا]الكهف ٣٤ فعزة النفر هنا كثرته وقوته ومنعته ، ومنها قوله تعالى:[يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ]المنافقون ٨ والآية الكريمة نزلت في مقالة الهالك عبد الله بن أُبي بن سلول رأس النفاق حين تعزز وتقوى وامتنع بعشيرته على النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين معه([2]) ، روى البخاري في صحيحه عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ يَقُولُ:" لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ" فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا؛ فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَصَدَّقَهُ؛ فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ ؛ فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَقَتَكَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :"إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ" فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَرَأَ،فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ([3])،فرد الله – تبارك وتعالى– مقالته، وأثبت

---

[1] – انظر/ تفسير الطبري ٢٤٩/١٨ ، تفسير ابن كثير ٢٦١/٥ ، التحرير والتنوير ١٦/ ٨٠ ،

[2] – انظر/ تفسير الطبري ٤٠٢/٢٣

٣ – حديث صحيح ؛ رواه البخاري في صحيحه /كتاب التفسير / باب بَاب قَوْلُهُ تعالى: [إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ.. إِلَى لَكَاذِبُونَ] حديث رقم ٤٩٠٠

العزة الكاملة لذاته سبحانه وجعلها للنبي – صلى الله عليه وسلم – بشرف الرسالة ، وجعلها للمؤمنين بإيمانهم بالله تعالى ورسوله –صلى الله عليه وسلم–.

ثالثا: العزة بمعنى العظمة والسلطان : فقد وردت بعض الآيات تحتوي لفظ العزة بمعنى العظمة،من ذلك قوله تعالى:[قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ]ص ٨٢ قال المفسرون : يقول تعالى ذكره قال إبليس" فبعزّتك: أي بقدرتك وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك " ([١]) ، ومثل ذلك ما ورد من قسَم سحرة فرعون بعزته في قوله–تعالى: [فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ]الشعراء ٤٤ قال بعض العلماء : العزة في القرآن على ثلاثة أوجه ، وجعلوا منها وجهاً يراد به العظمة ، وجعلوا منه هذا الموضع ([٢]).

ومن ذلك – أيضاً– إطلاق أهل مصر – قديماً – على حاكمها لقب العزيز الذي ذكره القرآن الكريم في سورة يوسف؛ قال– تعالى :[وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ..] يوسف ٣٠ ، وقوله : [قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ] يوسف ٥١ ، ومناداة إخوة يوسف أخاهم بنفس اللقب كونه عاملاً على ولايةٍ من ولايات الدولة في ذلك الحين فاشتهر بهذا اللقب في قوله– تعالى :[قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] يوسف ٧٨ ، وقوله – تعالى:[فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا]يوسف ٨٨ ومن ذلك– أيضا – مقالة قوم مدين:[قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ]هود ٩١ ، فقد وجهها البعض

---

١ – انظر تفسير الطبري ٢٤١/٢١ ، التحرير والتنوير ١٩٤/٢٣ ، تفسير البيضاوي ٥٥/٥ / وانظر أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي ، تفسير مقاتل بن سليمان ١٢٥/٣ ط دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت ط أولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، القاموس الوجيز ٣٦/١ ، وروح المعاني ٧٨/١٩ ، زاد المسير ١٢٤/٦ .

٢ – لباب التأويل في معاني التنزيل ٣٢٥/٣ /

على أنهم أرادوا: وما أنت علينا بعظيم فنمتنع عن إيذائك ونكف عن صدك عما أنت عليه.

رابعاً: العَزّة بمعنى الغلبة والانتصار في الاحتجاج:

وقد وقع ذلك في القرآن الكريم في موضع واحد في سورة ص ، فكما ورد في اللغة أن كلمة العَزة بفتح العين وتشديد الزاي تعني الغلبة في الاحتجاج،ورد في القرآن قوله – تعالى: [إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ] ص ٢٣ فقد جاء ذلك موافقاً كلام العرب من قولهم : " مَن عزَّ بَزَّ " أي من غلب استلب ،وهو من باب عز :يعَزُّ بفتح العين ، وقد فسرها معظم المفسرين تفسيراتٍ متقاربةً كلها تدور حول الغلبة في المجادلة التي كانت بينهما ([1]).

خامساً:العزة بمعنى الخيرية والتشريف الإلهي لعباده:

وهي العزة التي ضمنها الله تعالى لعباده المؤمنين في قرآنه الكريم ، وشرفهم بها في موضع حديثه عن ملكيته– سبحانه– مطلق العزة بقوله:[وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ]المنافقون ٨ ،وهي التي دلهم الله – تبارك وتعالى–على طريق تحصيلها بقوله تعالى:[مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ]فاطر ١٠؛ فإن العزة الحقيقية هي التي تتفرع عن الإيمان بالله – تعالى– والانتساب إليه– تبارك وتعالى– بالعبادة والطاعة والتذلل والخضوع ، وهو منتهى التشريف الذي يتحصله العبد إذا انتسب إلى العزيز الذي له العزة البالغة جميعاً،فلا كرامة ولا شرف أعظم من الركون إلى جانب العزيز

[1] – انظر/ التبيان في تفسير غريب القرآن ٣٥٩/١ أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ) المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، التسهيل لعلوم التنزيل ٤٤٤/٢ ، أضواء البيان ٣٣٠/٦ ، النكت والعيون ٨٧/٥ ، والدر المنثور ١٦١/٧

الذي يعز من التجأ لجنابه،وهي الخيرية التي أبان الله لهم شرائطها بقوله:[كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ] آل عمران ١١٠ .

سادساً: العزة بمعنى الحمية والأنفة والتكبر عن قبول الحق:

فإن الله – تبارك وتعالى– قد تحدث في قرآنه الكريم عن صنف من الناس يأبى قبول الحق ، ويتكبر عن اتباع الشرع اتباعاً لهواه ، فذمهم الله – تعالى– بفعالهم ،وسمى هذه الحالة بالعزة – أيضاً – لكنها العزة المذمومة، من ذلك قوله – تعالى:[وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ] البقرة ٢٠٦ فالآيات تتحدث عن سلوك نوعية من الناس تتكبر وتعرض عن قبول الحق والقيام بالتقوى أنفةً وحميةً واستكباراً ([١]).

ومثل ذلك أيضاً قوله – تعالى– في وصف الكفار:[بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ] ص ٢ ،أي الذين كفروا في حمية وأنفة وإعراض عن قبول الحق في مخالفة ومعاندة صريحة لدين الله – تبارك وتعالى([٢]) وهي الحمية التي فسرها القرآن الكريم بقوله – تعالى:[إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا]الفتح ٢٦ .

سابعاً: العزة بمعنى المشقة والصعوبة : وهي التي ذكرها الله – تبارك وتعالى – في قرآنه الكريم وهو يتحدث عن نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم– وحرصه الشديد

---

١ – انظر / أضواء البيان ٣٣٠/٦ ، التفسير الميسر ٢٢٠/١ ، اللباب في علوم الكتاب ٤٦٤/٣

٢ – انظر / أضواء البيان ٣٢٧/٦ ، التحرير والتنوير ١١٠/٢٣ ، الدر المنثور ١٤٤/٧ ، القاموس الوجيز لكلمات الكتب العزيز ٣٦/١

على المؤمنين ورأفته بهم فقال :[لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ]التوبة ١٢٨ والعزة في هذا الموضع يراد بها المشقة والشدة والصعوبة والأصل أن العزة:الغلبة، يقال عزه إذا غلبه، ومنه [وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ]ص:٢٣ فإذا عُدِّي بعلي دلَّ على معنى الثقل والشدة على النفس،قال بشر بن عوانة في ذكر قتله الأسد ومصارعته إياه: فقلت له يعز علي أني ... قتلت مناسبي جلدا وقهرا ([١]).

ثامنا: العزة بمعنى نفاسة القدر والمنعة : وهو وصف أطلقه الحق – تبارك وتعالى– في وصف القرآن الكريم ؛ لبيان حفظه من أن تناله يد التحريف أو التبديل ، ولبيان نفاسة قدره وعلو شأنه ، كما قال تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ]فصلت ٤١ قال المفسرون : "كثير النفع عديم النظير أو منيع لا يتأتى إبطاله وتحريفه "(٢).

---

١ – انظر / التحرير والتنوير ٣٣٦/١٠ ، تفسير الخازن ١٧١/٣ لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) ، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ ، مفاتيح الغيب ١٩٦/١٦ ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٣١١/٢ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تفسير النسفي ١١٦/٢

٢ – انظر/ تفسير الطبري ٤٧٩/٢١ ، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٦٧ ، تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ٥ / ١١٧ ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ ، زاد المسير في علم التفسير ٢٦٢/٧ ، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ،المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

الفصل الثاني: العزة الإلهية في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث

- **المبحث الأول : الوصف بالعزة في الأسماء الحسنى.**
- **المبحث الثاني : إسناد العزة لله تبارك وتعالى، وصورها.**
- **المبحث الثالث: العزة القرآنية**

لما كان الإدراك البشري المخلوق قاصراً عن إدراك حقيقة الخالق بنفسه كان لزاماً على من رام معرفة الخالق أن يتعرف عليه بما عرّف به – سبحانه وتعالى– نفسه ؛ لذا فإن أفضل طريق لمعرفة الله – تعالى– هو اتباع الهدي الإلهي في هذا الباب .

وقد عرف الله – تبارك وتعالى نفسه – لعباده عن طريق ما أنزله من هدايات إلهية على قلوب رسله ، وما أوحاه – سبحانه وتعالى– على ألسنتهم؛ لذا فمعرفة الله – تبارك وتعالى– ومعرفة أسمائه وصفاته يجب أن تكون من هذا الطريق .

ويراد بالعزة الإلهية التي أضافها الله – تبارك وتعالى – لذاته تلك الصفة الإلهية التي وصف بها نفسه كثيراً في القرآن الكريم ، باسم من أسمائه أو وصف من أوصافه أو فعل من أفعاله تعبيراً أن له –تعالى – العزة جميعاً:[إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] ٦٥ يونس.

وقد تكاثرت الآيات القرآنية التي تثبت العزة صفة لله – تبارك وتعالى – كثرة تتوزع على عموم أجزاء القرآن الكريم كله ، حتى لا تكاد صفحات القرآن الكريم تخلوا من الحديث عنها، كما تنوعت الأساليب القرآنية في عرض العزة الإلهية تنوعاً واضحاً في القرآن، كما سيرد ذلك بعد قليل .

ولعل التنويع القرآني في صياغة الحديث عن العزة الإلهية بهذا الشكل إنما يراد به تربية المؤمنين أن تكون العزة خلقاً أصيلاً يتخلقون به ، ويحققون مستلزماته؛ كونهم الأمة التي أرادها الله – تبارك وتعالى – أن تقوم بدور الشهود الحضاري على غيرها من الأمم ؛ وتحوز الخيرية متى قامت بشرائطها:[كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ] ١١٠ آل عمران، ورفع درجتها بقوله: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا] ١٤٣ البقرة.

وتكاد الآيات القرآنية في الحديث عن العزة الإلهية تكون جامعة معظم المعاني الدلالية لمفهوم العزة ، وقد تنوعت الآساليب في الحديث عن العزة الإلهية ما بين تكرار الوصف لله – تبارك وتعالى – باسمه العزيز ، وما بين إسناد فعل الإعزاز له – تبارك وتعالى – وما بين الحديث عن ملكيته – عز وجل – للعزة جميعاً كما قال : [سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ] ١٨٠ الصافات، ووصف كتابع الكريم بالعزة في قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت ٤١ ،٤٢.

وقد جاءت الأساليب القرآنية متنوعة في الصياغة لهذا المعنى ، فتارة يكون إثبات العزة لله – تبارك– وتعالى بذكر اسم الله تعالى العزيز ، وتارة يكون بإسناد فعل الإعزاز لله – تبارك وتعالى– وتارة يكون بالحديث عن ملكية الله – تبارك وتعالى – للعزة ،كما سيرد ذلك فيما هو آت .

المبحث الأول : الوصف بالعزة في الأسماء الحسنى.

فقد أثبت الله تبارك وتعالى صفة العزة لذاته في القرآن الكريم باستخدام الأسماء الحسنى الدالة على عزته – تبارك وتعالى– وما وصفت به تلك العزة من صفات وذلك بورود اسمه – تعالى– العزيز مفرداً أو مقترناً بغيره من الأسماء كما سيتضح فيما يلي :

أولاً إثبات عزة الله– تبارك وتعالى– باسم الله العزيز : من الأسماء الحسنى التي تحمل صفة من صفات الله – تبارك وتعالى– اسم الله العزيز ؛ بياناً لصفة العزة الإلهية التي تجوز في حق الله – تبارك وتعالى؛فقد ورد وصفه – تبارك وتعالى – في القرآن الكريم بالعزيز فيما يربو على الثمانين موضعاً ، كلها تثبت لله – تبارك وتعالى– صفة العزة والجلال.

حيث ورد في القرآن الكريم اسم الله "العزيز" في أكثر من ستين موضعاً معرفاً، كقوله – تعالى:[رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]البقرة ١٢٩، وقوله تعالى : [هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] آل عمران ٦ وذلك دلالة على اسمٍ من اسمائه الحسنى – سبحانه وتعالى–يُراد به:" الذي له العزة كلها من جميع الوجوه :

- عزة القوة والقدرة، فهو القوي المتين.
- وعزة القهر والغلبة لكل مخلوق؛ فكلهم نواصيهم بيده، وليس لهم من الأمر شيء.
- وعزة الامتناع الذي تمنّع بعزته عن كل مخلوق، فلا يُعارض ولا يُمانع، وليس له نديدٌ ولا ضديدٌ"(١)، وورود هذا الاسم معرفاً بالألف واللام في حق الله – تعالى

---

١ – انظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ٢٥/١ ، تأليف عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ،نشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ط الأولى، ١٤٢٢هـ ، وانظر تفسير السعدي المسمى : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٩٤٦/١ مؤسسة الرسالة ، ط أولى ٢٠٠٠ م

– يقتضي أنه العزيز الذي حاز العزة كلها ؛ فهي ملكه وهو المستحق لها بذاته – سبحانه وتعالى .

– كما ورد على سبيل التنكير في مواضع كثيرة بلغت اثنين وعشرين موضعاً من كتاب الله – تعالى ؛ كقوله–عز وجل:[فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] البقرة ٢٠٩ ،وكقوله:[وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] المائدة ٣٨، وقوله –تعالى:[وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]الأنفال ٤٩.

– كما ورد هذا الاسم في كتاب الله – تبارك وتعالى– تارة مفرداً وتارة مقروناً إلى غيره من الأسماء الحسنى ، وهو ولا شك في كل موضع يدل على حكمة إلهية بليغة؛ فهو تنزيل العزيز الحكيم ، أحكمه الله –تبارك وتعالى:[الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ] هود ١ ، فإذا ذكر الاسم مفرداً دل على المعاني المقررة سلفاً بحق اسم الله العزيز، وهي عزة القوة وعزة القهر وعزة الامتناع ، وإذا ما انضاف اسم الله العزيز لغيره من الأسماء الحسنى دل على معنى آخر زائد عما في الاسمين المذكورين كما سيتضح.

– وقد لوحظ أن معظم المواضع التي ورد فيها اسم الله العزيز مفرداً دون اقتران مع غيره من الأسماء الحسنى جاء موصوفاً بأنه تعالى ذو انتقام ؛ كقوله تعالى : "[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ] آل عمران ٤ ، وقوله تعالى:[يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ]المائدة ٩٥ ، وقوله تعالى: [فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ]إبراهيم٤٧.

فهذه الآيات الكريمة تثبت لله تبارك وصف الانتقام ممن حاد الله – تبارك وتعالى– وعاند شريعته واتخذ سبيل الحرب لأولياء الله – تبارك وتعالى، فكأن عزة

الله في هذا الباب هي أخذ المعاندين بالنقمة دون الرحمة بهم ؛ لما فعلوه من ذنوب عظيمة أهلتهم لحلول غضب الله – تبارك وتعالى– عليهم فحلت بهم نقمته – عز وجل– روى الإمام الطبري في تفسير قوله – تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ] آل عمران ٤ :"أَيْ:إِنَّ اللَّهَ مُنْتَقِمٌ مِمَّنْ كَفَرَ بِآيَاتِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ بِهَا، وَمَعْرِفَتِهِ بِمَا جَاءَ مِنْهُ فِيهَا"، وفي قوله –تعالى:[وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ] آل عمران٤ يَقُولُ– عَزَّ وَجَلَّ: وَاللَّهُ مَنِيعٌ فِي سُلْطَانِهِ، لَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنَ الِانْتِقَامِ مِمَّنِ انْتَقَمَ مِنْهُ، وَلَا مِنْ عُقُوبَةِ مَنْ أَرَادَ عُقُوبَتَهُ مَانِعٌ ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، وَالْأَمْرَ أَمْرُهُ، لَهُ الْعِزَّةُ وَالْمَنَعَةُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ:[ذُو انْتِقَامٍ]آل عمران٤ ، فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ: مُعَاقَبَتَهُ لِمَنْ عَصَاهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ(١).

ثانيا : اقتران اسم الله العزيز بغيره من الأسماء الحسنى:

ورد في القرآن الكريم اقتران اسمه – تعالى– العزيز بغيره من الأسماء الحسنى للدلالة على معانٍ زائدة عن ورود أحد الأسماء المقرونة مع بعضها منفرداً ؛ فقد ورد اسمه – تعالى– العزيز مقترناً باسماء الله الحسنى الحكيم والعليم والغفور والحميد وغيرها من الأسماء بما سيتم تناوله فيما هو آتٍ .

١ - اقتران اسم الله العزيز باسمه – تعالى – الحكيم في القرآن الكريم :

ورد هذان الاسمان في القرآن الكريم مقرونين لبيان صفة عظيمة من صفات الله – تعالى ،وهي العزة المتلبسة بالحكمة، وليست العزة التي تبطش دون حكمة، فالحكيم هو واسع العلم والاطّلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلْقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال ، وحكمته

---

[١] – تفسير الطبري ١٨٥/٥ ، ٧٢٢/٨ ، انظر التحرير والتنوير ١٥٠/٣

نوعان:الحكمة في خلقه ، الحكمة في شرعه وأمره ([١])، وقد لوحظ أن الاسمين وردا مقرونين في القرآن الكريم في[٤٢] اثنين وأربعين موضعاً،للدلالة على وصف الله –تبارك وتعالى– بالعزة والحكمة في أفعاله – عز وجل ، من ذلك قوله – تبارك وتعالى : [وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ] آل عمران ١٢٦ ،قال العلماء : وجملة [وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] تذييل أي كل نصر هو من عند الله لا من الملائكة، وإجراء وصفي العزيز الحكيم هنا لأنهما أولى بالذكر في هذا المقام، لأن العزيز ينصر من يريد نصره، والحكيم يعلم من يستحق نصره وكيف يعطاه.([٢])

وباستقراء المواضع التي ورد فيها الاسمان مقرونين نجد عدداً من الملاحظات كما يلي :

- يتوزع هذا الاقتران على القرآن الكريم كله طوال فترة نزوله ، فقد نزل في المرحلة المكية هذا الاقتران بين الاسمين تذييلاً لبعض الآيات المكية ، كما ورد تذييلاً للآيات المدنية ، ولعل المراد الإلهي من ذلك هو إرشاد المؤمنين إلى ضرورة أن تكون العزة صفة أصيلة في تكوينهم الإيماني والتشريعي ؛ خاصة وقد من الله – تبارك وتعالى– عليهم بالإيمان ، فحين ينظر المؤمن لآيات من القرآن المكي ويجدها تذيل بوصف الله – تبارك وتعالى– بالعزة والحكمة معاً فإن ذلك يورث المؤمن تلك العزة الإيمانية ويعلم أنها تسير وفق حكمة مسير هذا الكون ومدبر أمره.

---

١ – انظر / تفسير أسماء الله الحسنى ١٨٦/١ ، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) بتحقيق: عبيد بن علي العبيد ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد ١١٢ – السنة ٣٣ –١٤٢١هـ ، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ١٠٠٠/٣ ، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ، ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، طبعة الأولى، /٢٠٠٣م

٢ – انظر التحرير والتنوير ٧٨/٤

- ورد هذا الاقتران بين اسم الله العزيز واسمه – عز– وجل– الحكيم على طول توزع القرآن الكريم ، سواء والقرآن الكريم يعرض حقائق الألوهية وخضوع المخلوقات والكون وما فيه لله رب العالمين ، وتسبيحها باسمه – تبارك وتعالى – العزيز الحكيم ، أو والقرآن الكريم يدبر أمر الجماعة المسلمة بالتشريع والحاكمية في المدينة.
- ففي السور المكية تجد الآيات القرآنية تتحدث عما يتعلق بالخلق وهم يسبحون خالقهم ويخضعون لتصريفه أمورهم ، من ذلك ما ورد في مطلع سورة الجاثية وخاتمتها من الحديث عن العزيز الحكيم،كقوله تعالى:[حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ] الجاثية من ١ : ٦ ثم تختم السورة بقوله – تعالى: [فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] الجاثية ٣٦ ، ٣٧ فهذه الآيات المكية تغرس في نفس المؤمن أن الله – تبارك وتعالى– له العزة الكاملة ، وهي تسير وفق تدبير محكم لله رب العالمين ، وعلى المسلم أن يستلهم العزة من مصدرها الذي يعطيها ويمنعها وهو الله العزيز الحكيم.
- كما أن السور المدنية قد حوت كثيراً من الفواصل القرآنية التي تأتي تذييلاً للآحكام الشرعية معبرة عن ذلك بوصف الله – تبارك وتعالى– بالعزة والحكمة من ذلك قوله – تعالى : [وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]٢٢٨ البقرة ، فبين الله –تعالى– أنه عزيزٌ أي قويٌّ لا يعجزه أحد، ولا ينفي أحداً، وأنه حكيمٌ يعلم صلاح الناس، وأن عزته تؤيد حكمته

فينفذ ما اقتضته الحكمة بالتشريع، والأمر الواجب امتثاله، ويحمل الناس على ذلك وإن كرهوا([1]) ، وهذه المعاني متكررة بشكل دقيق وملاحظ في القرآن الكريم .

- كذلك ورد الدعاء بهذين الاسمين مقترنين في غير ما موضع من القرآن الكريم ، من ذلك قوله – تعالى : [رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] غافر ٨وهو من دعاء الملائكة لعباد الله المؤمنين ، وجملة [إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] اعتراض بين الدعوات استقصاءً للرغبة في الإجابة بداعي محبة الملائكة لأهل الصلاح لما بين نفوسهم والنفوس الملكية من التناسب،واقتران هذه الجملة بحرف التأكيد للاهتمام بها. و"إن"في مثل هذا المقام تغني غناء فاء السببية، أي فعزتك وحكمتك هما اللتان جرأتانا على سؤال ذلك من جلالك، فالعزة تقتضي الاستغناء عن الانتفاع بالأشياء النفيسة فلما وعد الصالحين الجنة لم يكن لله ما يضنه بذلك فلا يصدر منه مطل([2])، ومن ذلك أيضاً قوله –تعالى –دعاء من المؤمنين في سورة من السور المدنية:[رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] الممتحنة٥

- وعزة الله –تبارك وتعالى– جاريةٌ على سنن الرحمة والحكمة والمغفرة والتجاوز عن ذنوب المؤمنين ، وسعة العطايا والمواهب لمن آمن وعمل صالحاً ، فعزته –تعالى– ليست كعزة المخلوقين التي جعلوا شعارها:" من عز بز ومن غلب استلب" ، بل عزته – تعالى– تسير وفق حكمته ورحمته ، وهي تجمع كل دلالات الخير مع العزة الإلهية.

وقد اجتهد العلماء في استبانة حكمة الجمع بين اسم الله –تعالى– العزيز واسمه –عز وجل– الحكيم فجعل الإمام ابن القيم علة ذلك أن العزة يتفرع عنها

---

[1] – انظر التحرير والتنوير ٢/٤٠٣

[2] – انظر التحرير والتنوير ٢٤/٩٣

الخلق ، وأن الحكمة يتفرع عنها الأمر ، فبما أن له – تعالى– الخلق والأمر فهو العزيز الحكيم يقول –رحمه الله تعالى: "وجه التقديم: أن العِزَّة: كمال القدرة، والحكمة: كمال العلم، وهو – سبحانه – الموصوف من كلِ صفة كمالٍ بأكملها وأعظمها وغايتها، فتقدم وصف القدرة، لأن متعلَّقه أقرب إلى مشاهدة الخلق؛ وهو مفعولاته تعالى وآياته، وأما الحكمة فمتعلَّقها بالنظر والفكر والاعتبار غالباً؛ وكانت متأخرة عن متعلق القدرة.

- وجهٌ ثانٍ:أن النظر في الحكمة بعد النظر في المفعول والعلم به، سينتقل منه إلى النظر فيما أودعه من الحكم والمعاني، وهو وجه تأخير الحكمة عن العزة.
- وجهٌ ثالثٌ:أن الحكمة غاية الفعل، فهي متأخرةٌ عنه تأخُّر الغايات عن وسائلها، فالقدرة تتعلَّق بإيجاده، والحكمة تتعلَّق بغايته، فقدَّم الوسيلة على الغاية لأنها أسبق في الترتيب الخارجي(١).

ومن بديع ما أورده المفسرون في حكمة هذا الجمع بين الاسمين ماورد في تفسير قوله – تعالى : [وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] المائدة ٣٨ فَالْمَعْنَى: أنه – تعالى – عَزِيزٌ فِي انْتِقَامِهِ، حَكِيمٌ فِي شَرَائِعِهِ وَتَكَالِيفِهِ؛ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: كُنْتُ أَقْرَأُ سُورَةَ الْمَائِدَةِ وَمَعِيَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَرَأْتُ هَذِهِ الْآيَةَ فَقُلْتُ [وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] سَهْوًا، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: كَلَامُ مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ كَلَامُ اللَّه، قَالَ أَعِدْ، فَأَعَدْتُ: [واللَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ] ، ثُمَّ تَنَبَّهْتُ فَقُلْتُ [وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]؛ فَقَالَ: الْآنَ أَصَبْتَ، فَقُلْتُ كَيْفَ عَرَفْتَ؟ قَالَ: يَا هَذَا [عَزِيزٌ حَكِيمٌ] فَأَمَرَ بِالْقَطْعِ، فَلَوْ غَفَرَ وَرَحِمَ لما أمر بالقطع ([٢])،ومثل ذلك ما أورده

---

١ – انظر بدائع الفوائد ٦٨/١ للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، ط دار الكتاب العربي بيروت لبنان

٢ – تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب ٣٥٧/١١ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ط٣ سنة ١٤٢٠ هـ ، وانظر اللباب في علوم الكتاب ٣٢٢/٧ ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ط دار الكتب العلمية ، بيروت ط أولى ١٩٩٠ م ، تفسير

المفسرون في تفسير قوله تعالى : [إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] المائدة ١١٨ قال المفسرون : "ولم يقل "فإنك أنت الغفور الرحيم" وهذا من أبلغ الأدب مع الله – تعالى– فإنه قاله في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار، فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة ، بل مقام براءة منهم، فلو قال: "فإنك أنت الغفور الرحيم" لأشعر باستعطافه رَبَّه على أعدائه الذين قد اشتد غضبه عليهم ، فالمقام مقام موافقة للرب في غضبه على مَنْ غضب الرب عليهم، فعدل عن ذكر الصفتين اللتين يسأل بهما عطفه ورحمته ومغفرته إلى ذكر العزة والحكمة، المتضمنتين لكمال القدرة وكمال العلم، والمعنى: إن غفرت لهم فمغفرتك تكون عن كمال القدرة والعلم، ليست عن عجز عن الانتقام منهم، ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم، وهذا لأن العبد قد يغفر لغيره لعجزه عن الانتقام منه، ولجهله بمقدار إساءته إليه، والكمال هو مغفرة القادر العالم، وهو العزيز الحكيم، وكان ذكر هاتين الصفتين في هذا المقام عين الأدب في الخطاب ([1]).

– كما أن إضافة اسم الله – تعالى العزيز– إلى اسمه –تعالى– الحكيم يعطي إشارة للمؤمين الذين يجب عليهم التخلق بصفات الله – تعالى– أن تكون عزتهم مقرونةً بالحكمة ، كما هي العزة الإلهية التي ورد اقترانها كثيراً بالحكمة الناتجة عن اقتران اسم الله –تعالى– العزيز باسمه –عز وجل– الحكيم ، لا أن تكون انعكاساً لهوىً ورعونة وجهل.

القرآن الحكيم (تفسير المنار) ٣١٨/٣ ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ط ١٩٩٠ م

١ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ٣٥٩/٢ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ط دار الكتاب العربي بيروت ط الثالثة ١٩٩٦ م ، وانظر البحر المديد ٩٣/٢ أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) ، التحرير والتنوير ١١٧/٧ وتفسير الرازي ٤٦٨/١٢

٢ –اقتران اسم الله العزيز باسمه– تعالى– الرحيم (العزة الرحيمة) :

ورد اسمه – تعالى – العزيز مقترناً باسمه الرحيم في القرآن الكريم في مواضع متنوعة بلغت ثلاثة عشر موضعاً في القرآن الكريم منها تسع مواضع مجتمعة في سورة الشعراء ، وأربعة مواضع موزعة على الترتيب في سور الروم والسجدة ويس والدخان.

واقتران هذين الاسمين معاً ينتج معنىً عظيماً هو جامع بين العزة والرحمة ، للتعبير عن العزة التي تُعمل البطش والانتقام في أعداء الله ،وفي نفس التوقيت هي العزة الرحيمة بعباد الله المؤمنين.

وبالنظر في مواضع سورة الشعراء نجد أن التعقيب بهذين الاسمين ورد في خاتمة الحديث عن قصة الصراع بين الإيمان والكفر في أعقاب كل قصة من قصص الأنبياء ، وكأن الله – تعالى– يبين للعالمين سنته التي تعمل فيمن يعاند ويحادد الله ورسله ، فهو العزيز الغالب الذي لا يقوم لقوته من في السمواوات ومن في الأرض ، وهو الرحيم بعباده المؤمنين ولو عاندهم من في السماوات ومن في الأرض ، وعزته – سبحانه– ليست عزة تجبر دون حكمة ،بل له الحجة البالغة فيما يفعل ففي قوله – تعالى : [وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ] الشعراء ٩ يقول ابن جريج : كُلُّ شَيْءٍ فِي الشُّعَرَاءِ مِنْ قَوْلِهِ [العَزِيزُ الرَحِيمُ] فَهُوَ مَا أُهْلِكَ مِمَّنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ، يَقُولُ: عَزِيزٌ حِينَ انْتَقَمَ مِنْ أَعْدَائِهِ، رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ حِينَ أَنْجَاهُمْ مِمَّا أَهْلَكَ بِهِ أَعْدَاءَهُ (١)، وقد ورد في سورة الشعراء قوله – تعالى : [وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ]الشعراء٢١٧ وهنا لمحة عظيمة وهي أمر الله – تبارك وتعالى– نبيه – صلى الله عليه وسلم – بالتوكل عليه ونعت – سبحانه وتعالى– ذاته هنا بهذين

---

١ – تفسير الطبري ٥٥١/١٧ ، وانظر الدر المنثور ٢٨٩/٦ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ط دار الفكر – بيروت ،

الوصفين دلالةً على منعته – عز وجل– أولياءه من أعدائه بما يوجب على الأولياء التوكل والتفويض الكامل لمن نعته العزيز الرحيم؛ فهو العزيز المنتقم من أعدائه، الودود الرحيم بأوليائه ، " وَعَلَّقَ التَّوَكُّلَ بِالِاسْمَيْنِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ وَمَا تَبِعَهُمَا من الْوَصْف بالموصول وَمَا ذَيَّلَ بِهِ مِنَ الْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّهُ يُلَاحِظُ قَوْلَهُ وَيَعْلَمُ نِيَّتَهُ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ يَأْتِي بِمَا أَوْمَأَتْ إِلَيْهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ وَمُسْتَتْبَعَاتُهَا بِوَصْفِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ بِعِزَّتِهِ قَادِرٌ عَلَى تَغَلُّبِهِ عَلَى عَدُوِّهِ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَأَنَّهُ بِرَحْمَتِهِ يَعْصِمُهُ مِنْهُمْ "([1]).

- كما ورد اقتران الاسمين العزيز الرحيم في مطلع سورة الروم بعد التبشير بغلبة أهل الكتاب من النصارى لمن يكفرون بالكتب ، وذلك قوله تعالى:[لم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ. لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ] الروم ١، ٢ فأبان – سبحانه وتعالى– في هذا الموضع جزأ من عزته التي ينصر بها أولياءه على أعدائه الكافرين فهو العزيز أي المعز لمن يشاء من عباده بالنصر ، والرحيم بأوليائه فلا يصرف أمورهم إلا وفق معالم رحمته ، والتي منها تمكينهم من مخالفيهم ؛ قال الشيخ ابن عاشور–رحمه الله : " عُقِّبَ بِقَوْلِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ فَإِنَّ [الْعَزِيزَ] الْمُطْلَقَ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ كُلَّ مُغَالِبٍ لَهُ، وَعَقَّبَهُ بـ:[الرَّحِيمُ] لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ عِزَّتَهُ – تَعَالَى– لَا تَخْلُو مِنْ رَحْمَةٍ بِعِبَادِهِ وَلَوْلَا رَحْمَتُهُ لَمَا أَدَالَ لِلْمَغْلُوبِ دَوْلَةً عَلَى غَالِبِهِ مَعَ أَنَّهُ – تَعَالَى– هُوَ الَّذِي أَرَادَ غَلَبَةَ الْغَالِبِ الْأَوَّلِ، فَكَانَ الْأَمْرُ الْأَوَّلُ بِعِزَّتِهِ وَالْأَمْرُ الثَّانِي بِرَحْمَتِهِ لِلْمَغْلُوبِ الْمَنْكُوبِ،وَتَرْتِيبُ الصِّفَتَيْنِ الْعَلِيَّتَيْنِ مَنْظُورٌ فِيهِ لِمُقَابَلَةِ كُلِّ صِفَةٍ مِنْهُمَا بِالَّذِي يُنَاسِبُ ذكره من الغالبين، فَالْمُرَادُ رَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا أي بعباده المؤمنين دون غيرهم"([2]).

---

[1] – التحرير والتنوير ٢٠٣/١٩

[2] – التحرير والتنوير ٤٧/٢١

– ورد أيضاً الاسمان مقرونين في سورة السجدة في قوله – تعالى:[اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ] السجدة ٤،٥،٦ وهي الآيات التي تتحدث عن قدرة الله – تبارك وتعالى– وتدبيره للأمر ؛ فعزته دلالة على تدبيره، وقهره لمن يكفر به، وقرن إليه صفة الرحيم

دلالة على مغفرته تقصير أوليائه في تقديره – تعالى– حق قدره كما قال : [وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ]الزمر ٦٧ ، فالعزة وهي الاستغناء عن الغير ظاهرة، وأنه خلقهم على أحوال فيها لطف بهم فهو رحيم بهم فيما خلقهم إذ جعل أمور حياتهم ملائمة لهم فيها نعيم لهم وجنبهم الآلام فيها؛ فهذا سبب الجمع بين صفتي [الْعَزِيزُ] و [الرَّحِيمُ](١).

– والموضع التالي لورود الاسمين مقترنين هو في مطلع سورة يس بعد الحديث عن تنزيل القرآن وأنه تنزيل العزيز الرحيم [يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ]يس ١: ٥ فالقرآن تنزيل العزيز الذي ينتصر لأوليائه من أعدائه الرحيم بالبشرية أن أنزل لها كتاب الهداية هذا، وكأن نزول القرآن هو وجه من وجوه الرحمة للبشرية أن اهتدت به من التيه والضلال الذي كانت ضاربة فيه قبل نزول القرآن وهو الضلال المعبر عنه في سورة الأنعام بقوله تعالى:[قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ]الأنعام ١٤٠ ،ووجه تذييل الآية هنا بالعزيز هو أن الآيات نزلت في مكة أثناء معارضة الكافرين للنبي والمؤمنين معه وإيذاؤهم

---

١ – انظر التحرير والتنوير ٢١٥/٢١

للمؤمنين إيذاءً شديداً ، فكأن الآيات تغرس في نفوس المؤمنين أن العزيز الغالب لا محالة سيعزكم بعزته التي لا يرام جنابها مهما كانت قوة من وقف لقوة الله –تبارك وتعالى– فهو العزيز الغالب الذي لا يقوم لقوته من في السماوات والأرض.

– والموضع الأخير هو ما ورد في سورة الدخان في قوله تعالى:[إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ]الدخان ٤٠: ٤٢ فأبانت هذه الآيات الكريمة أن اقتران اسم الله العزيز باسمه تعالى الرحيم إنما يؤكد أن رحمته – تبارك وتعالى– ناشئة عن عزة وقوة وقهر وعطاء ، لا عن ضعف وذلة وقصور تعالى الله عن ذلك ، كما أن هذين الاسمين مقرونين يُنتجان صفة أخرى لله – تعالى– وهي إعزاز الله أوليائه على أعدائه وأن ذلك فرع عن رحمته تعالى بهم ، وانتقام الله تعالى من أعدائه وأن ذلك رحمة للعالمين من شرورهم ، وأنهم لن يفلتوا بكفرهم بل ينتقم العزيز منهم بعزته وهو الرحيم الذي يرحم أولياءه برحمته.

٣–اقتران اسم الله تعالى العزيز باسمه– عز وجل– العليم :

وقد ورد هذان الاسمان مقترنين في القرآن الكريم في خمسة مواضع ، واقترانهما إنما يؤكد أن عزة الله –تبارك وتعالى – وقهره وغلبته لا تكون عن جهل بل هي العزة التي تنطلق من العلم الشامل المطلق الذي يتصف به علام الغيوب ، والعليم هو المحيط علمه بكل شيء، بالواجبات، والممتنعات، فيعلم تعالى نفسه الكريمة، ونعوته المقدسة، وأوصافه العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها، ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت كما قال تعالى:[لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا]الأنبياء:٢٢ فهذا وشبهه من ذكر علمه بالممتنعات التي يعلمها وإخباره بما ينشأ عنها لو وُجدت على وجه الفرض والتقدير ويعلم تعالى الممكنات، وهي التي يجوز وجودها وعدمها ما وجد منها وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجاده، فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان ويعلم الغيب والشهادة،

والظواهر والبواطن، والجلي والخفي، قال الله تعالى:[إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]الأنفال٧٥ (١) ، وليست عزته – تعالى– كعزة المخلوق التي قد تكون عن جهل وسوء تقدير لقصور علم صاحبها ؛ قال تعالى : [إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] الأنعام ٩٥ ، ٩٦ ، فالآيات الكريمة توضح جزأً من عزة الله الشاملة التي تقوم على العلم الشامل لخالق هذا الوجود الذي فلق الحب والنوى ، وأخرج الحي من الميت وأخرج الميت من الحي والذي دبر أمر التوقيت ففلق الإصباح وجعل للكون منظومةً يستند عليها لا يشذ عنها مخلوق؛ فالشمس والقمر يجريان وفق تقدير العزيز ذي العلم المحيط بكل مخلوق.

- ويلاحظ أن تذييل الآية بقوله تبارك وتعالى [ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] قد ورد في ثلاثة موضع: الأنعام ، ويس ، وفصلت ،وكل منها قد سبقه الحديث عن الأفلاك والنجوم ، وحركتها ومواقيتها ودقة خلقها ؛ وفي ذلك إشارة إلى أن هذا النظام المحكم والبديع في صناعته وتقديره وترتيب سيره إنما هو فعل العزيز الغالب والمدبر لكل أمر ،وأن خلق هذه الأفلاك وتقدير نظامها هو فرع عن صفة العزة والعلم الشامل لله تبارك وتعالى قال الشيخ ابن عاشور:" وَذِكْرُ صِفَتِي الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ لِمُنَاسَبَةِ مَعْنَاهُمَا لِلتَّعَلُّقِ بِنِظَامِ سَيْرِ الْكَوَاكِبِ، فَالْعِزَّةُ تُنَاسِبُ تَسْخِيرَ هَذَا الْكَوْكَبِ الْعَظِيمِ، وَالْعِلْمُ يُنَاسِبُ النِّظَامَ الْبَدِيعَ الدَّقِيقَ"(٢)، ويكشف عن إيداع العليم تبارك وتعالى سراً علمياً في نظام هذه الأفلاك ، وهو ما بدأت البشرية تكشف جزأً يسيراً من أسرار علمه في خلق السماوات والأرض والنظام الكوني الذي تسير عليه تلك

---

١ – انظر / تفسير أسماء الله الحسنى ، للسعدي ١٩٤/١ ، الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة ص ١٧ المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني نشر: مطبعة سفير، الرياض ، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض .

٢ – التحرير والتنوير ٢١/٢٣

الأجرام ؛ إعمالاً لمنهجية قرآنية تحدث عنها خالق تلك الأفلاك ، منزل هذا القرآن بقوله– تعالى:[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] فصلت ٥٣ .

- الموضع الثاني الذي ورد فيه اقتران اسمه –تعالى– العزيز باسمه – عزوجل– العليم فهو قوله : [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ]النمل ٧٦: ٧٨ وقد ورد الاسمان في سياق الحديث عن القرآن الكريم وأنه يقص على بني إسرائيل ما يختلفون فيه ، وأن الله– تبارك وتعالى يقضي بين هؤلاء فيما يختلفون فيه بحكمه، وحكمه ينطلق من العزة الإلهية الشاملة وينطلق من علمه – تبارك وتعالى– بحقيقة النفوس وما تحويه طبيعتها وما تستئهله من خير أو شر؛ فيكون حكم الله – تبارك وتعالى– عليهم وفق علمه الشامل الذي ينتج إعزازهم أو ذلهم ، فليس قضاؤه فيهم انعكاساً لهوىً أو غضب يخرج صاحبه عن حكمته،ولا هو لون من ألوان الجبر فيهم ، بل هو حكم العزيز الذي لايتمكن مخلوق من رد حكمه ، وهو العليم بما يصلحهم فيكون حكمه – تعالى– وفق ما يفعلون هم ووفق علمه بما تستحقه طبيعتهم ،وما يصلحها.

- وأما قوله – تعالى:[حم تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] غافر ١،٢ فسر المفسرون [العزيز العليم]في هذا الموضع أن الله – تبارك وتعالى صاحب العزة بجميع وجوهها ،العليم بكل ما في هذا الكون ولن يشذ مخلوق عن العود إليه فيحاسبه عما كان منه ، ولعل الآية التي أتت بعدها تفسرها ؛كأن هناك حسن تقسيم في توزيع أسماء الله– تبارك وتعالى – على الآيتين ؛ وهو قوله – تعالى : [غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ] غافر٣ ، فكأن أسماءه –تعالى: [اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ]يفسره ما ورد بعده من أسماء ، فلفظ الجلالة:[اللَّهِ] الذي جمع وجوه معاني كل الأسماء والصفات العُلى يناسبه الوصف بـ : [غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ] واسمه تعالى : [الْعَزِيزِ] يناسبه الوصف

بـ :[شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ] ، واسمه تعالى: [الْعَلِيمِ] يناسبه الوصف بـ: [لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ]، واقتران الاسمين معاً يعطي معنىً آخر أشمل من كل اسم منهما منفرداً بنفسه ، وهو أن عزة الله – تبارك وتعالى– تترتب أثارها وفق تصريفه – عزوجل– للأمور المبني على العلم المحيط الشامل لكل دقائق المخلوقات.

- وأما الموضع الأخير في القرآن لاقتران هذين الاسمين معا فهو قوله – تعالى: [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ] الزخرف ٩ ورد في أعقاب حديثه عن إهلاكه –تبارك وتعالى– القرون السابقة بمعاندتها للحق الذي بعث به إليهم أنبياؤهم ؛ لذا ناسب الحديث عن عزته –تبارك وتعالى– المبنية على علمه عز وجل المحيط بكل شيء ، قال تعالى : [وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ] الزخرف ٦، ٧ ، ٨ فكأنه – تبارك وتعالى– يعرّض للمشركين بما فعله بالقرون السالفة، والذي فعل تلك الأفاعيل بالقرون السابقة ناسبه الوصف بالعزيز ، ولما كانت تلك القرون متباعدةً ضاربةً في عمق الزمن قد ينساها المخلوقون ناسب أن يصف الحق – تبارك وتعالى – نفسه بالعليم لأنه ذو العلم المحيط الشامل الذي [لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ]سبأ ٣، فهو العليم بما كان وما هو كائن وما يكون وما لم يكن لوكان كيف كان يكون ، لذا ناسب الوصف بالعليم مع الوصف في العزيز في هذا الموضع ، كما أن الوصف بالعزيز فيه التعريض لهؤلاء المشركين وأمثالهم من المعاندين أنه لولم يؤمن هؤلاء فستعمل صفة العزة فيهم كما عملت فيمن كان قبلهم من القرون التي قص الله – تبارك وتعالى – خبرها في هذا الموضع ، والتي أبان أنه – عز وجل – أهلكهم بعزته التي لا يرام جنابها.

و قد حاول عددٌ من المفسرين تلمس الحكمة في إيراد هذين الاسمين فاصلةً للآية القرآنية التي هنا ، واقتران العزة بالعلم في أعقاب الحديث عن خلق السماوات والأرض فقال الشيخ ابن عاشور : " وَإِنَّمَا عدل عَن اسْم الْعَلِيِّ إِلَى

الصِّفَتَيْنِ زِيَادَةً فِي إِفْحَامِهِمْ بِأَنَّ الَّذِي انْصَرَفُوا عَنْ تَوْحِيدِهِ بِالْعِبَادَةِ عَزِيزٌ عَلِيمٌ، فَهُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَرْجُوَهُ النَّاسُ لِلشَّدَائِدِ لِعِزَّتِهِ وَأَنْ يُخْلِصُوا لَهُ بَاطِنَهُمْ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سِرُّهُمْ، بِخِلَافِ شُرَكَائِهِمْ فَإِنَّهَا أَذِلَّةٌ لَا تَعْلَمُ، وَإِنَّهُمْ لَا يُنَازَعُونَ وَصْفَهُ بِ[الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ] ؛ وَتَخْصِيصُ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ بَقِيَّةِ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ؛ لِأَنَّهَا مُضَادَّةٌ لِصِفَاتِ الْأَصْنَامِ فَإِنَّ الْأَصْنَامَ عَاجِزَةٌ عَنْ دَفْعِ الْأَيْدِي"([١])، كما أورد في ذلك رأياً آخر الشيخ ابن عجيبة –رحمه الله – فقال : " واختار هذين الوصفين للإيذان بانفراده بالإبداع والاختراع والتدبير لأن العزة تُؤذن بالغلبة والاقتدار، والعلم يؤذن بالتدبُّر والاختيار، وليُرتب عليه ما يناسبه من الأوصاف، وهو قوله:[الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً] ([٢])،وعلي ذلك يمكن القول أن اقتران هذين اسمين معاً دال على عزة قوامها شمول العلم وإحاطته فهي عزة العليم.

٤– اقتران اسمه– تعالى– العزيز باسمه القوي:

ورد الاقتران بين هذين الاسمين في القرآن الكريم في سبعة مواضع في القرآن كما يلي :

- ولكي نفهم المراد من هذا الاقتران بين الاسمين يحسن الوقوف على المراد باسم الله – تعالى – القوي، وقد عرفه غير واحدٍ من المفسرين فتقاربت أقوالهم حول تعريف القوي وأنه يراد به: " الذي لا يغلبه غالب ، ولا يرد قضاءه راد ، ينفذ أمره، ويمضي قضاءه في خلقه، شديدٌ عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه" ([٣]) ،ومن خلال النظر في الآيات التي ذكر فيها الاسمان مقرونين يمكن الوقوف أمام عدد من الملاحظات كما يلي :

---

[١] – التحرير والنوير ١٦٨/٢٥

[٢] – البحر المديد ٢٣٦/٥

[٣] – تفسير الطبري ٢٣٣/١١ ، الموسوعة العقدية ٤٨٥/١

- معظم مواضع ورود الاسمين مقترنين جاءت في أعقاب الحديث عن الصراع بين الإيمان والكفر ؛ وفي ذلك إشارة إلى معونة الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بإيمانهم ،فهو الذي يعزهم بالانتصار على أعدائه ، وأن معركتهم مع الباطل لا تعتمد على عتاد أو عدة متى آمنوا ، وتعززوا بالله القوي العزيز ، وصدقوا الله في إيمانهم ، بل تعتمد على الإيمان والاعتزاز والتقوى والانتصار بالله – تبارك وتعالى– ، ففي سورة هود:[فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ] هود٦٦ أبان الله تبارك وتعالى أنه حين احتدمت المعركة بين أهل الإيمان والكفر حسمها القوي العزيز الذي أرسل العذاب على الكافرين وأنجى من بينهم المؤمنين من نفس العذاب الذي حل على هذا المجتمع ، ولا يقدر على ذلك إلا القوي العزيز؛ قال الرازي– رحمه الله تعالى : " ثُمَّ قَالَ: [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ] وَإِنَّمَا حَسُنَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ – تَعَالَى– بَيَّنَ أَنَّهُ أَوْصَلَ ذَلِكَ الْعَذَابَ إِلَى الْكَافِرِ وَصَانَ أَهْلَ الْإِيمَانِ عَنْهُ، وَهَذَا التَّمْيِيزُ لَا يَصِحُّ إِلَّا مِنَ الْقَادِرِ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى قَهْرِ طَبَائِعِ الْأَشْيَاءِ فَيَجْعَلُ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى إِنْسَانٍ بَلَاءً وَعَذَابًا ، وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى إِنْسَانٍ آخَرَ رَاحَةً وَرَيْحَانًا"(١).
- وفي سورة الحج الموضعان اللذان اقترن فيهما الاسمان [القوي والعزيز] هما في الحديث عن الصراع بين الإيمان والكفر ، فالأول للتوطئة بين يدي تشريع الجهاد للجماعة المؤمنة ؛ كي تقوم بمهمتها ووظيفتها في هذا الوجود ، وبيان أن التدافع بين أهل الحق وأهل الباطل سنة مقدرة من الله – تعالى– القوي العزيز ؛ حتى لا تفسد الأرض ولا تهدم مواطن العبادات ، والموضع الثاني في سورة الحج هو في أعقاب ضرب مثل تحدياً لقدرة المشركين وما يدعون، وبيان إفلاسهم عن الإتيان بشيء ذي بال في الحياة ، ثم أعقب ذلك بالتذييل القرآني أن المخلوقين لم

---

١ – مفاتيح الغيب ١٨/٣٧٠

يقدروا الله – تعالى– حق قدره فالله – تعالى– هو القوي العزيز ، يملك كل شيء في قبضته وهو الذي لا يرام جنابه ، ولا يمتنع منه ممتنع.

- وأما الموضع الذي ورد في سورة الأحزاب فهو في التعقيب على غزوة الأحزاب وما كان فيها من إعمال الله – تعالى– سنته وتسخيره بعض جنوده – وهو الريح – في المعركة التي دارت بين المؤمنين والكافرين يوم الأحزاب ، وأعقب الله – تبارك وتعالى– ذلك بقوله:[وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا] الأحزاب ٢٥ فأبان – سبحانه وتعالى– عن فعله في المعركة التي دارت بين المؤمنين – أوليائه – وبين الكافرين– أعدائه– بقوله:[وَرَدَّ اللَّهُ]، فهو الفاعل الحقيقي في المعركة وذلك وجه من وجوه إعزازه – تعالى– لأوليائه للانتصار من أعدائه ، ولذلك ختم الآية بقوله – تعالى–:[وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا]، " وَذُكِرَ فِعْلُ "كانَ" لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْعِزَّةَ وَالْقُوَّةَ وَصْفَانِ ثَابِتَانِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ تَعَلُّقَاتِ قُوَّتِهِ وَعِزَّتِهِ أَنْ صَرَفَ ذَلِكَ الْجَيْشَ الْعَظِيمَ خَائِبِينَ مُفْتَضِحِينَ ، وَأَلْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحْلَافِهِ مِنْ قُرَيْظَةَ الشَّكَّ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ ، وَهدى نعيماً بْنَ مَسْعُودٍ الْغَطَفَانِيَّ إِلَى الْإِسْلَامِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ قَوْمُهُ ؛ فَاسْتَطَاعَ النُّصْحَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْكَيْدِ لِلْمُشْرِكِينَ،وذَلِكَ كُلُّهُ معْجزَة للنبي– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"([١]) وهذا كله من فعل الله– تبارك وتعالى– الذي أعز أولياءه بقوته .

- والموضع التالي لاقتران صفة القوة بصفة العزة في القرآن الكريم في سورة الشورى قوله – تعالى : [اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ] الشورى ١٩ وهو وصف إلهي لله – تبارك وتعالى – بعد أن أسند إلى ذاته العلية سبحانه أمر رزقه لعباده أوضح أنه يتصف بهاتين الصفتين الكريمتين ، وأن رزق الله – تبارك وتعالى– فرع عن لطفه –عز وجل – بهم فهو أعلم بما يصلح أحوالهم ، ففي هذه الآية الكريمة لمحتان :

---

[١] – التحرير والتنوير ٣١١/٢١

* *الأولى* :أن تقدير الرزق للعباد فرع عن لطف الله – تعالى– بهم ، فمن علِم الله – تعالى – صلاح حاله ببسط الرزق بسطه له ، ومن علم بغيه بالرزق قدر عليه رزقه ؛ ولذا قال – تعالى:[وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ] الشورى ٢٧ .

**الثانية* : أن من أعظم القضايا التي تحتاج التخلق بخلق العزة هو الرزق ، ولذا فالآية الكريمة ختمت بالاسمين :[الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ] كإشارة لضرورة التخلق بخلق العزة الإيمانية التي يحتاج المسلم إليها في أمر الرزق ، لأنها فرع عن عزة الله – تبارك وتعالى–الذي أوحى على لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم– قوله:"وإنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا؛ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ"([1])وفي ذلك إشارة لضرورة أن يكون المؤمن عزيزاً في طلب حاجته ، وألا يدفعه استبطاء الرزق أن يتنازل عن شيء من عزته التي تربى عليها في رحاب إيمانه ، فبسط الرزق أو قبضه تطبيق لوجه من أوجه قوته تعالى.

---

[1] – الحديث أورده البيهقي في شعب الإيمان ٤٠٦/٢ باب التوكل ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ،أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند،الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م، وأورده ابن أبي شيبة في مصنفه ٧٩/٧ ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، أورده الألباني في السلسلة الصحيحة ٨٦٥/٦ برقم ٢٨٦٦ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري ، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض

– وأما قوله – تعالى:[لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ] الحديد ٢٥ فقد وردت الفاصلة القرآنية في هذه الآية باقتران اسمي الله – تعالى– [قَوِيٌّ عَزِيزٌ] بعد الحديث عن النصرة التي تجب لدين الله – تعالى– ورسله ، وناسب ذكر هذين الاسمين تعبيراً عن القوة العزيزة التي يتصف بها الله – تبارك وتعالى– فعزته غالبة كل من رام معاداة دين الله ، وهذه العزة مستندة للقوة الكبرى التي يتصف بها القوي العزيز سبحانه، وفي الآية إشارة لضرورة اتصاف الرسل وأتباعهم بالعزة والقوة التي تحقق لهذا الدين عزته ،وَجُمْلَةُ:[إ نَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ] تَعْلِيلٌ لِجُمْلَةِ : [أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ] إِلَى آخِرِهَا، أَيْ لِأَنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيز فِي شؤونه الْقُدْسِيَّةِ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ رُسُلُهُ أَقْوِيَاءَ أَعِزَّةً، وَأَنْ تَكُونَ كُتُبُهُ مُعَظَّمَةً مُوَقَّرَةً، وَإِنَّمَا يَحْصُلُ ذَلِكَ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْمَنُوطَةِ أَحْدَاثُهُ بِالْأَسْبَابِ الْمَجْعُولَةِ بِأَنْ يَنْصُرَهُ الرُّسُلُ وَأَقْوَامٌ مُخْلِصُونَ لِلَّهِ وَيُعِينُوا عَلَى نَشْرِ دِينِهِ وَشَرَائِعِهِ(١)، فوجب قيام رسله والمؤمنون أتباعهم من إعمال سنة المدافعة للكفر وأهله حتى تتحقق منهجية إنزال الله نصره على جنوده :[وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ] محمد ٤ ،[قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ] التوبة ١٤ لذا وجب إعداد القوة الممكنة لإعزاز دين الله – تعالى– القوي العزيز:[وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ] الأنفال ٦٠ .

– وأما قوله تعالى :[إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ]المجادلة ٢٠،٢١ ففيه بيان أن تمام العزة لا

---

[١] – التحرير والتنوير ٤١٨/٢٧ ، وانظر تفسير الطبري ٤٢٦/٢٢

يكون إلا لله – تعالى – ولرسله ثم بالتبعية تكون للمؤمنين بهم ، وقد ختمت الآية بوصف الله – تبارك وتعالى– بالقوي العزيز للدلالة على تمام العزة الإلهية في غلبته – عزوجل– لمن حاده وعاند طريقته،والآية الأولى فيها التدليل على صدق الآية الثانية " لِأَنَّ ذُلَّ أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ عَلَى حَسَبِ عِزِّ الْخَصْمِ الثَّانِي، فَلَمَّا كَانَتْ عِزَّةُ اللَّه غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ، كَانَتْ ذِلَّةُ مَنْ يُنَازِعُهُ غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ أَيْضًا،.... ثُمَّ قَالَ: [إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ] أي عَلَى نُصْرَةِ أَنْبِيَائِهِ،[عَزِيزٌ]: غَالِبٌ لَا يَدْفَعُهُ أَحَدٌ عَنْ مُرَادِهِ، لِأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ مُمْكِنُ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ، وَالْوَاجِبُ لِذَاتِهِ يَكُونُ غَالِبًا لِلْمُمْكِنِ لِذَاتِهِ"([١])،وختم الآية باقتران اسمي الله– تعالى:[القوي العزيز] مناسب للحديث عن الصراع بين الحق والباطل؛فمحادة وعداوة الكافرين لله – تعالى– ولرسوله وبالتبعية للمؤمنين استلزمت تدخل الله – تعالى – العزيز وأبانت عن غلبة الله – تعالى– لأولئك الكافرين ومن نحى نحوهم ، ففيه المناسبة بين ذكر موضوع الآية وتذييل الآية بوصف الله تعالى بالعزة والقوة.

٥– : اقتران اسمه سبحانه (العزيز) باسميه سبحانه (الغفور ، والغفار):

ورد اقتران اسمه – تعالى – العزيز باسمه – سبحانه– الغفور في موضعين اثنين ، وورد اقتران اسمه العزيز بالغفار في مواضع ثلاثة في القرآن الكريم ،ومعنى الغفر في حق الله – سبحانه– هو الذي يستر ذنوب عباده ويغطيهم بستره، والغفور هو الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب على كل من يتوب(٢)، وقد ورد اقتران اسم الله العزيز بهذين الاسمين كما يلي :

---

١ – انظر مفاتيح الغيب ٢٩/٤٩٨

٢ – انظر / تفسير أسماء الله الحسنى ص ٤٦ ،إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) ، بتحقيق: أحمد يوسف الدقاق الناشر: دار الثقافة العربية ، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ١٠/٤٨٨ المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ –

- قوله تعالى:[أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ. إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ] فاطر ٢٧، ٢٨ ، وقوله تعالى :[الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ] الملك ٢ ،وقد ختمت الآيتان باقتران العزيز الغفور لتدلل أن عزة الله – تبارك وتعالى – متلبسة بالمغفرة ، فعزته التي تعني قدرته وقهره لأعدائه هي العزة التي تنتقم من الكافرين وتغفر للمؤمنين ، ومثلها ما ورد من الآيات اقترن فيه اسمه – تعالى العزيز مع اسمه الغفار قوله – تعالى : [قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ] ص ٦٥، ٦٦ ، وقوله تعالى : [خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ]الزمر وقوله تعالى : [وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ]غافر ٤١، ٤٢

فجميع هذه الآيات تثبت لله – تبارك وتعالى– العزة التي تعني قدرته على أخذ المستحق للعقوبة بالعقوبة ، والغفار التي جعلها الله – تبارك وتعالى– منحة منه تعالى لأوليائه وأحبائه ، وكل فاصلة منها ناسبت المقام الذي وردت فيه،وقرن الله – تعالى بين الاسمين ليؤكد – سبحانه – على شمول عدله لمن أساء ، ولمن أحسن على السواء، فعزته التي تعني البطش والأخذ والانتقام والقوة والغلبة والانتصار ممن عصاه جعلها لمن عاند وأصر على المخالفة،ومغفرته – تعالى– جعلها لعباده الذين رغبهم في التوبة والأوبة والرجوع إليه وهي خير منحة يوم العرض .

٢٠٠٥ م ،وانظر / نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم ٢٥٣/٢ ط دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة ط ٤ بدون تاريخ

٦ – *اقتران اسمه سبحانه (العزيز) باسمه سبحانه (الحميد):* ورد اسمه تعالى الحميد مقترناً باسمه عز وجل العزيز في القرآن الكريم ، والحميد من أسماء الله – تعالى– هو المحمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله وهُوَ فعيل فِي معنى مفعول، وَالله تَعَالَى هُوَ الْمَحْمُود بِكُل لِسَان، وعَلى كل حَال كَمَا يُقَال فِي الدُّعَاء: الْحَمد لله الَّذِي لَا يحمد على الْأَحْوَال كلهَا سواهُ"(١) وقد ورد مقترناً بالعزيز في مواضع ثلاثة في القرآن الكريم :

قوله تعالى : [الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ] إبراهيم ١ ، وقوله تعالى:[وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ]سبأ٦ وقوله – تعالى:[وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ] البروج٨، وقد ورد هذان الوصفان في خاتمة هذه الآيات لاعتباراتٍ قرآنية عظيمة، ففي آية سورة إبراهيم وسورة سبأ كان الحديث عن نعمة الله – تبارك – على خلقه بأن أنزل القرآن على عبده ليكون سبيل هداية لهم على لسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والقرآن الكريم هو طريق العزة والشرف لمن آمن به:[لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ]الأنبياء ١٠ ،فناسب أن يكون ختام الآية باسم الله– تعالى– العزيز ، ولما كانت بعثة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – هي السبيل للوصول للهداية التي هي أعظم النعم على الإنسان ناسب أن يقترن باسم الله العزيز اسمه تعالى الحميد ؛ في إشارة للمؤمنين لضرورة الاعتزاز بالإيمان الذي طريقه الوحيد القرآن الذي يمثل خير نعمة تستحق منهم أفضل حمد لله رب العالمين ؛ فناسب ذلك أن تختتم الآيتان بالعزيز الحميد .

---

١ – انظر / تفسير الطبري ٧١١/٤ ، و تفسير أسماء الله الحسنى ٥٥/١ إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) بتحقيق أحمد يوسف الدقاق ط دار الثقافة العربية القاهرة

وفي سورة البروج لما كان الحديث عما فعله أصحاب الأخدود بالمؤمنين أمر مستبشعاً لدى الحكم العدل ناسب أن يقص قصتهم ليعرض بأهل مكة وموقفهم من الإيمان والمؤمنين ، في تخويف لهم صريح بأن ذكر اسمه – تعالى– العزيز أي المنتقم ممن أجرم في حق أوليائه تعالى وعاندهم وآذاهم ، فأبان – تعالى–أنه يعز من يشاء بدينه بطريق الانتقام والانتصار من أعداء من أراد إعزازهم ، فكان اسم الله العزيز ، وقرن اسمه – تعالى– الحميد باسمه العزيز في بيان للواجب على المؤمنين تجاه الله – تعالى – وهو حمده على كل وجه؛ ذلك أن قطع دابر القوم المجرمين والانتقام من القوم الظالمين من النعم التي أوجب الله – تعالى – على عباده حمده عليها بقوله تعالى : [فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام ٤٥ قال الإمام الرازي – رحمه الله تعالى وَقَوْلُهُ: [الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ] يُفِيدُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ عَزِيزًا يَكُونُ ذَا انْتِقَامٍ يَنْتَقِمُ مِنَ الَّذِي يَسْعَى فِي التَّكْذِيبِ، وَإِذَا كَانَ حَمِيدًا يَشْكُرُ سَعْيَ مَنْ يُصَدِّقُ وَيَعْمَلُ صَالِحًا، فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ قَدَّمَ الصِّفَةَ الَّتِي لِلْهَيْبَةِ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي لِلرَّحْمَةِ مَعَ أَنَّكَ أَبَدًا تَسْعَى فِي بَيَانِ تَقْدِيمِ جَانِبِ الرَّحْمَةِ؟! نَقُولُ كَوْنُهُ عَزِيزًا تَامَّ الْهَيْبَةِ شَدِيدَ الِانْتِقَامِ يُقَوِّي جَانِبَ الرَّغْبَةِ لِأَنَّ رِضَا الْجَبَّارِ الْعَزِيزِ أَعَزُّ وَأَكْرَمُ مِنْ رِضَا مَنْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ، فَالْعِزَّةُ كَمَا تُخَوِّفُ تُرْجَى أَيْضًا، وَكَمَا تُرَغِّبُ عَنِ التَّكْذِيبِ تُرَغِّبُ فِي التَّصْدِيقِ لِيَحْصُلَ الْقُرْبُ مِنَ العزيز"([1]).

ووجه الاقتران بين اسمه – تعالى– العزيز والحميد هو أن العزة التي يتحصلها المؤمنون بسبب إيمانهم بالقرآن الذي أنزله الله – تعالى– على نبيه ودعاهم إليه فأجابوا كانت إجابتهم إياه وجهاً من أوجه إعزاز الله إياهم ، وتلك من أفضل النعم التي تستدعي التوجه لله –تبارك وتعالى– بالحمد والثناء الحسن لذا قرن الله – تعالى– بين العزيز والحميد في هذه المواضع من القرآن الكريم .

[1] – تفسير الرازي ١٩٤/٢٥

٧– اقتران اسمه سبحانه (العزيز) باسمه سبحانه (الوهاب): ورد اقتران اسمه – تعالى– العزيز باسمه – عزوجل– الوهاب في القرآن الكريم في موضع واحد ، و" الوَهَّابُ هُوَ الذِي يَجُوْدُ بِالعَطَاءِ عنْ ظَهْرِ يَدٍ مِنْ غير استِثَابَةٍ، وَمَعْنَى الهِبَةِ: التمْلِيْكُ بِغير عِوَضٍ يأخُذُهُ الوَاهِبُ مِنَ المَوْهُوبِ لَهُ، فَكُل مَنْ وَهَبَ شَيْئَاً مِنْ عَرَض الدُّنْيَا لِصَاحِبِهِ، فَهْوَ وَاهِبٌ، وَلَا يَسْتَحِقُّ أنْ يُسَمَّى وَهَّاباً إلا منْ تَصَرَّفَتْ مَوَاهِبُهُ فِي أنْوَاعِ العَطَايَا فَكَثُرَتْ نَوَافِلُهُ وَدَامَتْ، وَالمَخلُوقُونَ إنما يَمْلِكُونَ أنْ يَهَبُوا مَالاً، أوْ نَوَالاً في حَالٍ دُوْنَ حَالٍ، وَلَا يَمْلِكُوْنَ أنْ يَهَبُوا شِفَاءً لِسَقِيْم، وَلَا وَلَدَاً لِعَقِيْم، وَلَا هُدَى لِضَلَالٍ، وَلَا عَافِيَة لِذِي بَلَاءٍ، وَالله الوَهابُ –سُبْحَانَهُ– يملِكُ جَمِيْعَ ذَلِكَ، وَسِعَ الخَلْقَ جُوْدهُ، وَرَحْمَتُهُ، فَدَامَتْ مَوَاهِبُهُ واتصَلَتْ مِنَنُهُ وَعَوَائِدُهُ ([١]) .

وقد ورد الاقتران بين هذين الاسمين في القرآن الكريم في قوله تعالى : [أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ]ص٩ والآية وردت في سياق الحديث عن عناد المشركين ومكابرتهم للنبي – صلى الله عليه وسلم– فناسب أن يستنكر عليهم موقفهم بقوله تعالى:[وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ]ص ٤ وكان ضمن استنكاره عليهم موقفهم أن أورد الآية التي ختمها بالحديث عن خزائن الله التي لا تنفد فاختار فاصلة الآية بأن قرن اسمه – تعالى – العزيز لاسمه الوهاب ، واقتران العزيز بالوهاب في هذا الموضع ليؤكد على سعة فضله الذي لا يُحدُّ فهو الذي يصرفه بحكمته ، فأنتج اقتران الاسمين الشعور بالاستغناء بالله تعالى – الذي هذه أسماؤه– عن كل ما سواه،" وَأُجْرِيَ عَلَى الرَّبِّ صِفَةُ الْعَزِيزِ لِإِبْطَالِ تَدَخُّلِهِمْ فِي تَصَرُّفَاتِهِ، وَصِفَةُ الْوَهَّابِ لِإِبْطَالِ جَعْلِهِمُ الْحِرْمَانَ مِنَ الْخَيْرِ تَابِعًا لِرَغَبَاتِهِمْ دُونَ مَوَادَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، والْعَزِيزِ: الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، والْوَهَّابِ:

---

١ – شأن الدعاء ٥٣ ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) بتحقيق أحمد يوسف الدّقاق ، الناشر: دار الثقافة العربية الطبعة: الثالثة، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

الْكَثِيرُ الْمَوَاهِبِ فَإِنَّ النُّبُوةَ رَحْمَةٌ عَظِيمَةٌ فَلَا يُخَوَّلُ إِعْطَاؤُهَا إِلَّا لِشَدِيدِ الْعِزَّةِ وافر الموهبة "(١).

٨- اقتران اسمه سبحانه (العزيز) باسمه سبحانه (المقتدر) : ورد اقتران اسمه تعالى العزيز باسمه عز وجل المقتدر في موضع واحد في القرآن الكريم ، و المقتدر مُبَالغَة فِي الْوَصْف بِالْقُدْرَةِ وَالْأَصْل فِي الْعَرَبيَّة أَن زِيَادَة اللَّفْظ زِيَادَة الْمَعْنى فَلَمَّا قلت اقتدر أَفَادَ زِيَادَة اللَّفْظ زِيَادَة الْمَعْنى (٢) وورد مقترناً بالعزيز في قوله – تعالى:[وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ]القمر ٤١، ٤٢ والآية الكريمة تتحدث عن فعل الله – تبارك وتعالى – في أعتى طاغية عرفته الأرض ، الذي أمهله الله – تعالى– وأنذره لعله يرجع ويتوب لكن غره حلم الله تعالى عليه ، وغرته قوته وجبروته فتمادى في الطغيان والكفر والكنود فكان جزاؤه أن أخذه الله – تعالى– أخذاً شدياً .

والعبرة من جعل خاتمة الآية بهذين الاسمين وإضافة القدرة لعزة الله – تعالى– التي ذكرها وصفا لذاته بعد فعله تبارك وتعالى في فرعون وقومه ليناسب ما اشتهر عن فرعون ، فالعزيز أي الذي لا يمتنع منه أحد فناسب قوله [فأخذناه] على تضمينها معنى الانتقام والإهلاك ، وذلك نكاية فيه ؛لأنه كان يعتبر نفسه ممتنعاً بملكه من الله حتى قال لوزيره:[يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا]غافر ٣٦ ، ٣٧ ، فكان الأخذ من الله العزيز على هذا الشكل مناسباً لتعزز فرعون بملكه ، وهو الذي حلفت السحرة بعزته قائلين: [بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ]الشعراء ٤٤ ، فذكر الله – تعالى– أن أخذه في هذا الموضع هو أخذ العزيز الذي لا يغلب عزته غالب ،

---

١ – التحرير والتنوير ٢١٦/٢٣ ، وانظر تفسير الرازي ٣٧٠/٢٦ ، تفسير البيضاوي ٢٥/٥

٢ – تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص٥٩ .

واقتران وصفه – تعالى– [مقتدر] بوصف العزة السابق فيه الرد على القدرة التي ادعاها فرعون لنفسه من هيمنته على شئون ملكه في ذلك اليوم .

فاقتران اسمه تعالى العزيز باسمه تعالى المقتدر يعطي معنىً قوياً عظيماً عنيفاً، وهو الأخذ الذي لا يقوم له مخلوق من خلق الله –تعالى– أياً كانت قوته وأياً كان ملكه ، والإشارة إلى العزة والاقتدار تلقي ظلال الشدة في الأخذ ، وفيها تعريضٌ بعزة فرعون واقتداره على البغي والظلم؛ فقد ضاعت العزة الباطلة، وسقط الاقتدار الموهوم ، وأخذه الله– هو وآله– أخذ عزيز حقاً مقتدر صدقاً، أخذهم أخذاً شديداً يناسب ما كانوا عليه من ظلم وغشم وبطش وجبروت ([١]) .

المبحث الثاني : إسناد العزة لله تبارك وتعالى، وصورها.

وردت الآيات القرآنية المصرحة بعزة الله – تبارك وتعالى– ببيان إسناد العزة لله – عزوجل– إسناد ملكية وقصرها وقصر فعل العزة على الله –تبارك وتعالى– ، كما سيتضح فيما يلي :

– في معرض الحديث عن تكذيب المشركين رسالة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أورد الحق – تبارك وتعالى– توكيده أن العزة كلها لله وحده فيجب ألا يحزن النبي من أفعالهم قط ، لأن الله– تعالى– مالك الكون وما فيه ومن فيه ؛ قال – تعالى:[وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ]يونس٦٥، ٦٦، وَالتَّعْرِيفُ فِي الْعِزَّةَ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ الْمُفِيدِ لِلاسْتِغْرَاقِ بِقَرِينَةِ السِّيَاقِ وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: [لِلَّهِ] :لِلْمِلْكِ،وَقَدْ أَفَادَ جَعْلُ جِنْسِ الْعِزَّةِ مِلْكًا لِلَّهِ أَنَّ جَمِيعَ أَنْوَاعِهَا ثَابِتٌ لِلَّهِ، فَيُفِيدُ أَنَّ لَهُ أَقْوَى أَنْوَاعِهَا وَأَقْصَاهَا؛وَبِذَلِكَ يُفِيدُ أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ لَا يَمْلِكُ مِنْهَا إِلَّا أَنْوَاعًا قَلِيلَةً، فَمَا مِنْ نَوْعٍ مِنْ

---

١ – انظر / في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٣٥ ،سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) ط دار الشروق ، بيروت – لبنان ط لسابعة عشر – ١٤١٢ هـ ، تفسير الرازي ٣١٩/٢٩ ، والتحرير والتنوير ٢٠٩/٢٧

أَنْوَاعِ الْعِزَّةِ يُوجَدُ فِي مِلْكِ غَيْرِهِ فَإِنَّ أَعْظَمَ مِنْهُ مِنْ نَوْعِهِ مِلْكٌ لِلَّهِ– تَعَالَى–فَلِذَلِكَ لَا يَكُونُ لِمَا يَمْلِكُهُ غَيْرُ اللَّهِ مِنَ الْعِزَّةِ تَأْثِيرٌ إِذَا صَادَمَ عِزَّةَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ لَا يَكُونُ لَهُ تَأْثِيرٌ إِلَّا إِذَا أَمْهَلَهُ اللَّهُ، فَكُلُّ عِزَّةٍ يَسْتَخْدِمُهَا صَاحِبُهَا فِي مُنَاوَأَةِ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ نَصَرَهُ فَهِيَ مَدْحُوضَةٌ مَغْلُوبَةٌ[1])كَمَا قَالَ–تَعَالَى:[كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ]المجادلة ٢١ ، وهذه العزة المذكورة لله – تعالى– في معرض قصرها على الله – تعالى– هي كل ألوان العزة الإلهية التي أثبتها الحق – تبارك وتعالى– لذاته فهي عزة القدرة والقوة ، وعزة القهر والغلبة ، وعزة الامتناع وعن كل نوع من هذه الأنواع تتفرع أفعال الله – تبارك– وتعالى في خلقه.

– كما أورد الحق – تعالى –اعتراضه على المنافقين بسعيهم في طلب العزة من المشركين ، واتخاذهم المشركين أولياء يطلبون عزتهم بالقرب منهم فقال – تعالى:[بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ] النساء ١٣٨ ، ١٣٩ ثم أبان عن سبب استنكاره – تعالى– هذا الموقف على المنافقين بقوله:[فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا] فأبان أنهم بجهلهم بالله – تعالى–سعوا في اتخاذ المشركين أولياء لهم من دون ولاية الله – تعالى– باتخاذ أولياءه المؤمنين أولياء لهم يتعززون بهم على من سواهم من المشركين ، وأكد أن التعزز بالله –تعالى– أولى ؛ لأنه –عز وجل– هو مالك العزة ومانحها من يشاء من عباده ؛ فإذا كانوا قد اتخذوا المشركين أولياء لهم بغية التعزز بهم فإن ذلك مسار غير صحيح في طلب العزة ، ذلك أن العزة يجب أن تطلب من مالكها ومانحها،وليس يملكها وليس يمنحها إلا الله –تبارك وتعالى– الذي حكم مؤكِّداً أن العزة جميعاً له – تبارك وتعالى– بقوله:[فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ

---

١ – التحرير والتنوير ٢٢٣/١١ ، وانظر تفسير الشعراوي ٦٠٤٥/١٠ تفسير الشعراوي – الخواطر المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم ، تفسير الرازي ٢٩٦/١٧

جَمِيعًا]،وَجُمْلَةُ[أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ]اسْتِئْنَافٌ بَيَانِيٌّ بِاعْتِبَارِ الْمَعْطُوفِ وَهُوَ [فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ]وَقَوْلُهُ:[أَيَبْتَغُونَ] هُوَ مَنْشَأُ الِاسْتِئْنَافِ، وَفِي ذَلِكَ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَمْ تَكُنْ مُوَالَاتُهُمْ لِلْمُشْرِكِينَ لِأَجْلِ الْمُمَاثَلَةِ فِي الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ، لِأَنَّ مُعْظَمَ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْيَهُودِ، بَلِ اتَّخَذُوهُمْ لِيَعْتَزُّوا بِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَإِيمَاءً إِلَى أَنَّ الْمُنَافِقِينَ شَعَرُوا بِالضَّعْفِ فَطَلَبُوا الِاعْتِزَازَ، وَفِي ذَلِكَ نِهَايَةُ التَّجْهِيلِ وَالذَّمِّ، وَالِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارٌ وَتَوْبِيخٌ، وَلِذَلِكَ صَحَّ التَّفْرِيعُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: [فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً]أَيْ لَا عِزَّةَ إِلَّا بِهِ؛لِأَنَّ الِاعْتِزَازَ بِغَيْرِهِ بَاطِلٌ،كَمَا قِيلَ: مَنِ اعْتَزَّ بِغَيْرِ اللَّهِ هَانَ([١])، وبنفس هذه الصيغة التأكيدية –أن العزة كلها لله تعالى– ورد بيان الطريق الموصلة للتعزز والعزة فقال – تعالى : [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا] فاطر ١٠، والمعنى :مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَانْصَرَفَ عَنْ دَعْوَةِ اللَّهِ إِبْقَاءً عَلَى مَا يَخَالُهُ لِنَفْسِهِ مِنْ عِزَّةٍ فَهُوَ مُخْطِئٌ؛ فَالْعِزَّةُ الْحَقُّ لِلَّهِ الَّذِي دَعَاهُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ،وَعِزَّةُ الْمَوْلَى ينَال حزبه وأولياءه حَظٌّ مِنْهَا؛ فَلَوِ اتَّبَعُوا أَمْرَ اللَّهِ فَالْتَحَقُّوا بِحِزْبِهِ صَارَتْ لَهُمْ عِزَّةُ اللَّهِ وَهِيَ الْعِزَّةُ الدَّائِمَةُ؛ فَإِنَّ عِزَّةَ الْمُشْرِكِينَ يَعْقُبُهَا ذُلُّ الِانْهِزَامِ وَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ فِي الدُّنْيَا وَذُلُّ الْخِزْيِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَعِزَّةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَزَايُدِ الدُّنْيَا وَلَهَا دَرَجَاتُ كَمَالٍ فِي الْآخِرَةِ ([٢]).

– وحين عرّض بعض المنافقين بالمؤمنين في المدينة متوعداً النبي والصحابة معه بإخراجهم من المدينة أنزل الله – تبارك وتعالى أن العزة المستحقة للمديح لا تكون إلا لله – تعالى– وبالتبعية لرسوله –صلى الله عليه وسلم –وللمؤمنين بحبهم نبيه – صلى الله عليه وسلم – فقد أورد البخاري في صحيحه حديثاً عن عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ،

---

١ – التحرير والتنوير ٥/٢٣٤ ، وانظر تفسير الرازي ١١/٢٤٦ ، البحر المحيط في التفسير ٤/١٠١

٢ – التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٦٩ ، وتفسير الرازي ٢٦/ ٢٢٦ ، زاد المسير في علم التفسير ٣/٥٠٧ ، تفسير الطبري١٩/ ٣٣٨

قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ ([1]) رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَتِ الأَنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ المُهَاجِرُونَ بَعْدُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: أَوَقَدْ فَعَلُوا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ"(٢)،فالحديث بيانٌ لمناسبة ورود الآية الكريمة التي تحدث الله –تبارك وتعالى– فيها عن قصر العزة عليه – سبحانه– وجعلها بالتبعية لنبيه وأوليائه فقال:[وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ]المنافقون ٨ وَالْمَعْنَى: إِنْ كَانَ الْأَعَزُّ يُخْرُجُ الْأَذَلَّ فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ هُمُ الْفَرِيقُ الْأَعَزُّ،وَعِزَّتُهُمْ بِكَوْنِ الرَّسُول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِيهِمْ وَبِتَأْيِيدِ الله رَسُوله– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَأَوْلِيَاءَهُ؛لِأَنَّ عِزَّةَ اللَّهِ هِيَ الْعِزَّةُ الْحَقُّ الْمُطْلَقَةُ، وَعَزَّةُ غَيْرِهِ نَاقِصَةٌ، فَلَا جَرَمَ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ لَا يُقْهَرُونَ، إِذَا أَرَادَ

---

[1] – هُوَ بِسِينٍ مُخَفَّفَةٍ مُهْمَلَةٍ أَيْ ضَرَبَ دُبُرَهُ وَعَجِيزَتَهُ بِيَدٍ أَوْ رِجْلٍ أَوْ سَيْفٍ . انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٣٨/١٦ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف لنووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ط ٢ ١٣٩٢ هـ ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٨٨/١٦ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

[2] – صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن / باب بَابُ قَوْلِهِ: [يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ] [المنافقون: ٨] حديث رقم ٤٩٠٧

اللَّهُ نَصْرَهُمْ وَوَعْدَهُمْ بِهِ،فَإِنْ كَانَ إِخْرَاجٌ مِنَ الْمَدِينَةِ فَإِنَّمَا يُخْرَجُ مِنْهَا أَنْتُمْ يَا أَهْلَ النِّفَاقِ،دون المؤمنين الأعزة الذين اعتزوا بعزة الله – تعالى([١]).

فثبت مما سبق أن العزة كلها قد أسندها الحق – تبارك وتعالى– لذاته واختص نفسه بملكيتها ، وكل عزة حقة لأحد من المخلوقين فهي فرع عن عزة الله العزيز الذي له العزة جميعاً،كما أن الله تبارك وتعالى قد أنزل في القرآن الكريم أنه رب العزة وصاحبها فقال تعالى في سورة الصافات:[سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ]الصافات ١٨٠ والآية لتنزيه الله –تبارك وتعالى عما افتراه في حقه الكافرون، ورَبِّ هُنَا بِمَعْنَى:مَالِكٍ،وَمَعْنَى كَوْنِهِ تَعَالَى مَالِكَ الْعِزَّةِ: أَنَّهُ مُنْفَرِدٌ بِالْعِزَّةِ الْحَقِيقَةِ وَهِيَ الْعِزَّةُ الَّتِي لَا يَشُوبُهَا افْتِقَارٌ، فَإِضَافَةُ رَبِّ إِلَى الْعِزَّةِ عَلَى مَعْنَى لَامِ الِاخْتِصَاصِ؛كَمَا يُقَالُ: صَاحِبُ صِدْقٍ، لِمَنِ اخْتُصَّ بِالصِّدْقِ وَكَانَ عَرِيقًا فِيهِ وَالتَّعْرِيفُ فِي الْعِزَّةِ كَالتَّعْرِيفِ فِي الْحَمْدُ هُوَ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ فَيَقْتَضِي انْفِرَادَهُ تَعَالَى بِهِ لِأَنَّ مَا يَثْبُتُ لِغَيْرِهِ مِنْ ذَلِكَ الْجِنْسِ كَالْعَدَمِ([٢]).

ومما يدل على أن العزة كلها لله – تبارك وتعالى– أنه –عز وجل– أبان أنه مالكها ومعطيها فهو الذي اختص نفسه بها فله العزة جميعاً هو الذي يمنحها ويمنعها، فيمنحها لمن أراد إعزازه ويمنعها ممن أراد إذلاله ؛وفي بيان هذا المعنى ورد قوله –تعالى:[قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]آل عمران ٢٦،وهذه الآية كما قال العلماء حوت فناً بلاغياً يعرف بالاستقصاء([٣])؛ فقد

---

[١] – انظر / التحرير والتنوير ٢٤٩/٢٨ ، في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٨٠ ، تفسير الرازي ٣٠/ ٥٤٩

[٢] – انظر / التحرير والتنوير ١٩٩/٢٣ ، تفسير الرازي ٢٦ / ٣٦٤ ، تفسير الخازن ٣٠/٤ ،

٣ – وَهُوَ أَنْ يَتَنَاوَلَ الْمُتَكَلِّمُ معنى فيستقصيه فيأتي بجميع عَوَارِضَهُ وَلَوَازِمَهُ بَعْدَ أَنْ يَسْتَقْصِيَ جَمِيعَ أَوْصَافِهِ الذَّاتِيَّةِ بِحَيْثُ لَا يَتْرُكُ لِمَنْ يَتَنَاوَلُهُ بَعْدَهُ فِيهِ مَقَالًا . انظر الإتقان

استقصت هذه الآية كل صفات الجلال والكمال والجمال لله – عز وجل–،وبلاغة الاستقصاء فى شموله للمعانى التى يقتضيها المقام والاستئثار بها، وسد كل فجوة يمكن أن تدع مقالاً للاحقين ، فهو الكلمة الأخيرة فى موضوعه([1])،ومجيء هذه الأفعال التي يصف بها الحق – تبارك وتعالى– ذاته بصيغة الجملة الفعلية المضارعة ليدلل على تجدد حدوث هذه الأفعال في كل حين .

وقوله تعالى:[وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ]فيه الدلالة على فعل الله – تبارك وتعالى– بمنح العزة من يشاء بمنحه إياها ومنعها عمن شاء حرمانه منها ، وللمفسرين كلام متنوع في المقصود بهذا المقطع فقالوا تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ: الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ: فَارِسَ وَالرُّومَ، وَقِيلَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ حَتَّى دَخَلُوا مَكَّةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ظَاهِرِينَ عَلَيْهَا، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ: أَبَا جَهْلٍ وَأَصْحَابَهُ حتى حُزَّت رؤوسهم وَأُلْقُوا فِي الْقَلِيبِ، وَقِيلَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ بِالْإِيمَانِ وَالْهِدَايَةِ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِالْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، وَقِيلَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ بِالطَّاعَةِ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَقِيلَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ بِالنَّصْرِ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِالْقَهْرِ،وَقِيلَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ بِالْغِنَى وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِالْفَقْرِ،وَقِيلَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ بِالْقَنَاعَةِ وَالرِّضَى وَتُذِلُّ

في علوم القرآن ٢٥٢/٣ ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر:الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

١ – الموسوعة القرآنية المتخصصة ٤٧٠/١ المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ، عام النشر: ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

مَنْ تَشَاءُ بِالْحِرْصِ وَالطَّمَعِ([1])، وأيا ما كان تنوع كلام المفسرين في بيان المراد فإن الآية الكريمة أثبتت أن المعز في هذا الكون هو الله –تعالى– فهو مانح العزة لمن يشاء،وكما سبق تقرير أن العزة الإلهية يراد بها ثلاثة أنواع من المجالات التي هي ملك لله – تعالى– والتي تعبر عن إلهية الخالق المعز وهي كما يلي:

- عزة القوة والقدرة .
- عزة القهر والغلبة .
- عزة التفرد والامتناع ، فإنه يمكن القول أن للعزة الإلهية صوراً متنوعة تبين إعزاز الله من يشاء من خلقه ، تتفرع عن تلك المجالات كما سيرد بيانه.

---

١ – تفسير البغوي ٢٣/٢ ، المعروف بـ معالم التنزيل في تفسير القرآن محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ، وانظر تفسير الطبري ٢٣/٢ ، النكت والعيون ٣٨٤/١

صور من العزة الإلهية في القرآن الكريم

اتفق العلماء ([١]) أن الله تعالى هو المتصف بالعزة في صورها المتنوعة ومجالاتها المختلفة – عزة القوة والقدرة،وعزة التفرد والامتناع، وعزة القهر والغلبة– كما أنه تبارك وتعالى هو مانحها من يشاء من خلقه ولا سبيل لتحصيلها إلا من هذا الباب ، وفيما يلي تفصيل ذلك.

أولاً مجال عزة القوة والقدرة: ذلك أن الله – تبارك وتعالى– بيده مقاليد كل شيء فهو القوي الذي لا تقوم لقوته قوة ، وهو القادر على كل شيء فلا يعجزه شيء ، دون نظرٍ لأسباب أو قوانين فهو الذي يعطي الأسباب فاعليتها، والقوانين اطرادها.

ويشمل هذا المجال من العزة أفعالاً متنوعة من أفعال الخلق ، والإحياء والإماته ، والرزق والتقدير وتصريف الكون وما فيه ، وتدبير جميع أموره .

- ففي مجال الخلق والإحياء والإماتة قال الله – تعالى– بياناً ملكيته –عز وجل– هذه الأفعال ومقتضياتها:[اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] الروم ٤٠ ، وقال [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ] الروم ٥٤ ، وقال :[مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ]لقمان ٢٨ ،وقال :

---

١ – انظر في تفصيل ذلك مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٣١١/٢ ،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م ، موسوعة فقه القلوب ١٥٣/١ ، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ط بيت الأفكار الدولية ، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ٢٥/١ للشيخ السعدي

[وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ]فاطر ١١ وغيرها كثير من آيات القرآن الكريم .

- وفي مجال الرزق وتقدير الأقوات يقول تعالى: [قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ]يونس ٣١ ، ويقول في بيان ضمانته سبحانه رزق مخلوقيه:[وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ] الذاريات ٢٢ ، وقال:[أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]النمل ٦٤ ويقول تعالى:[يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ] فاطر٣ ، ويقول تعالى:[قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ] فصلت ٩ : ١١ وغير ذلك من الآيات.

- وفي مجال تصريف الكون ، وتدبير الأمور يقول – تعالى :[إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ]يونس٣،ويقول تعالى: [اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ] الرعد ٢،ويقول: [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ

ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ]السجدة٤: ٧

ثانيا مجال عزة التفرد والامتناع : فإنه هو الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه بل هو الضار النافع المعطي المانع ؛كما وصف سبحانه نفسه في القرآن الكريم في غير موضع ؛ كما قال في أوعى وصف تفصيلي للحديث عن الإله الحق بياناً لتصور الإسلام النظيف في حق خالق هذ الكون : [قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ] الإخلاص ١ : ٤ ، وقال تعالى بيانا لتنزهه –تعالى– عن ما شابهه أوما تعلقت به الأذهان في تصورها لذاته عز وجل: [فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] الشورى ١١ ،وقال:[ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ] الأنعام ١٠٢ ، ١٠٣ وقال:[قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ] المؤمنون ٨٨ ، ٨٩،وكما قال:[يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ]فاطر ١٣ : ١٧وفي بيان أنه – تعالى– هو المالك للنفع والضر وأن غيره لا يملك من أمر هذه الأمور شيئاً قال:[وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ]الزمر ٣٨ .

- وكما أنه تبارك وتعالى ممتنع بذاته عمن شاء من خلقه فهو – سبحانه وتعالى– المانع والعاصم لمن يشاء من خلقه وذلك شكل من أشكال إعزاز الله – تعالى– من أراد من أصفيائه لقوله تعالى:[يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ]

المائدة ٦٧ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَهِرَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ:"أَلَا رَجُلٌ صَالِحٌ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ"؟ فَقَالَتْ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي ذَلِكَ سَمِعْتُ صَوْتَ السِّلَاحِ، فَقَالَ: "مَنْ هَذَا؟ " قَالَ: سَعْدٌ وَحُذَيْفَةُ، جِئْنَا نَحْرُسُكَ. فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ، وَنَزَلَتْ هذه الآية، فأنزل رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَأْسَهُ مِنْ قُبَّةِ أَدَمٍ وَقَالَ: "انْصَرِفُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ"([١]) ، وهو عين ما فسره الحديث الصحيح عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ:" إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ، – ثَلاَثًا –"وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ ([٢]).

---

١ – أسباب نزول القرآن ٢٠٢/١ المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) بتحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٢ – حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه ، بَابُ مَنْ عَلَّقَ سَيْفَهُ بِالشَّجَرِ فِي السَّفَرِ عِنْدَ القَائِلَةِ رقم ٢٩١٠

* ثانيا مجال عزة القهر والغلبة ، ذلك أن الله تبارك وتعالى هو العزيز القهار القوي المنتصر ممن شاء من خلقه لمن شاء من عباده ، هو الفعال لما يريد لا يعجزه قوة ، ولا يفلت منه مطلوب ، وقد أثبت الحق تبارك وتعالى لذاته أنه ينصر من يشاء من عباده دون سبب فيكفى في ذلك إرادته ، ذلك أن أمره بين الكاف والنون .

وعزّة القهر والغلبة تشمل كلّ الكائنات؛ فهي كلّها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرّك منها متحرّك، ولا يتصرّف متصرّف إلّا بحوله وقوّته وإذنه([١])، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوّة إلّا به وقد تكاثرت الآيات القرآنية التي تؤكد على هذا المعنى في القرآن الكريم.

- تارة في الحديث عن قهره تبارك وتعالى لعموم المخلوقات وأنه وحده تبارك وتعالى هو المتصف بالقهر المطلق ، حتى إن اسم القهار من الأسماء الحسنى في كل المواضع التي ذكر في القرآن فيها إنما جاء وصفا لله – تبارك وتعالى– مقترنا باسمه تعالى الواحد كقوله تعالى:[قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ] الرعد ١٦،وكقوله تعالى:[يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ]غافر ١٦ ، وفي بيان أخذه – تبارك وتعالى– بنواصي جميع خلقه قال: [إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ]هود ٥٦ .

- وتارة في الحديث عن قهره أهل الباطل عبر تاريخ الصراع الطويل بين أهل الحق وأهل الباطل في معاركه المتتابعة، كقوله – تعالى :[وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ

١ – انظر / نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم ٢٨٢١/٧

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ]إبراهيم ٤٥ : ٤٨ ، وكقوله تعالى :[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا]الفرقان ٣٥ : ٣٨ .

- وتارة بالحديث أن الله تعالى هو الفعال الحقيقي في معركة الصراع بين الحق والباطل لقوله تعالى :[فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ]الأنفال ١٧ ، ١٨ ،ولقوله تعالى:[قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ]التوبة ١٤ ، ولقوله تعالى:[فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ] محمد ٤: ٦ .
- وتارة بالتأكيد أنه – تعالى– هو الناصر وأن النصر منحة منه – تعالى– لأصفيائه وأوليائه المؤمنين كقوله – تعالى:[وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ]آل عمران ١٢٦ ، ١٢٧، ولقوله:[وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] الأنفال ١٠ ، ولقوله :[يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ] محمد

٧: ٩ ، ولقوله:[إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ]غافر ٥١.

- كما أكدت الآيات القرآنية أن الغلب فعل الله –تعالى– وحده ، وأنه حليف جنده المتبعين منهجه والعاملين بشريعته لقوله تعالى : [وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ]المائدة ، وفي قصة موسى قال – تعالى:[فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ]الشعراء ٤٤ : ٤٨ ، وفي بيان اطراد هذه السنة لأولياء الله –تعالى– قال:[وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ]الصافات ١٧١ : ١٧٣، فجميع هذه الآيات تؤكد أن الله تبارك وتعالى هو القهار لجميع المخلوقات،وجميعهم نواصيهم بيده ، وهذا لون من ألوان العزة الإلهية وهي عزة القهر والغلبة.

المبحث الثالث: العزة القرآنية

القرآن الكريم كلام الله تبارك وصفه الله تبارك وتعالى بعدد من الصفات التي تميزه عن غيره من الكتب ، ومن الصفات التي وصف الله تبارك وتعالى بها كتابه أنه كتاب عزيز ؛ لقوله تبارك وتعالى:[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ] فصلت ٤١ ، ٤٢ ، وعزة القرآن الكريم فرع عن عزة الله تبارك وتعالى ، وقد تحدث الحق تبارك وتعالى في القرآن الكريم في غير ما موضع عن وجوه لعزة القرآن الكريم بينها في كثير من آياته.

والمراد بالعزة القرآنية أن القرآن عزيز على الله وهو من عند الله ، وقيل: إن معنى ذلك أن القرآن منيع أن يناله الشيطان بأي تحريف له بزيادة أو نقصان،وقيل عزيز أن يطاله أحد من الخلق بسوء(١)، وَالْعَزِيزُ – فِي هَذَا الْمَوْضِعِ– لَهُ مَعْنَيَانِ أَحَدُهُمَا: الْغَالِبُ الْقَاهِرُ ، وَالثَّانِي: الَّذِي لَا يُوجَدُ نَظِيرُهُ، أَمَّا كَوْنُ الْقُرْآنِ عَزِيزًا بِمَعْنَى كَوْنِهِ غَالِبًا، فَالْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ بِقُوَّةِ حُجَّتِهِ غَلَبَ عَلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَأَمَّا كَوْنُهُ عَزِيزًا بِمَعْنَى عَدِيمِ النَّظِيرِ، فَالْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَتِهِ([٢])، وقد جاء وصف القرآن الكريم بالعزة من أكثر من وجه كما يلي :

أوجه العزة القرآنية

١- أن القرآن الكريم كلام الله تبارك وتعالى منه خرج وبه هدى عباده: فقد أجمع علماء أهل السنة على ذلك ، وطالما أن الله –تبارك وتعالى– قد أثبت لنفسه العزة الكاملة بإسناد العزة بجميع وجوهها إليه – سبحانه– بقوله:[فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا]النساء ١٣٩ وكذلك أثبت العزة لكتابه الكريم بوصفه بالعزة في قوله : [وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ]فصلت ٤١ فقد ثبت أن القرآن الكريم له من العزة الإلهية نصيب ، ويضرب فيها بسهمٍ وفير ، وخير دليل على ذلك أن هناك عدداً من الآيات القرآنية

---

١ – أنظر القرطبي ٣٦٧/١٥

[٢] – تفسير الرازي ٢٧/ ٥٦٨

التي ختمت بالفاصلة القرآنية بوصف الله – تبارك وتعالى– بالعزة في غير ما موضع من القرآن الكريم في أعقاب الحديث عن القرآن أو أيٍّ من متعلقاته ، من ذلك في ثنايا الدعاء الإبراهيمي للنبي الخاتم ولأمة العرب ورد الدعاء أن يبعث الله –تبارك وتعالى– النبي الخاتم تالياً للكتاب والحكمة في العرب وجاءت الآيات مذيلة بوصف العزة والحكمة الإلهية: [رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]البقرة ١٢٩ ، ومن ذلك أيضاً في سورة آل عمران بعد الحديث عن ما حدث في مجادلة وفد نصارى نجران الذين جاءوا النبي في المدينة وحديث القرآن عن حقيقة القول في عيسى ختمت القصة بقوله تعالى:[إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]آل عمران٦٢ ،وتكرر هذا التذييل القرآني بعد الحديث عن متعلق بالقرآن الكريم في غير ما موضع من القرآن الكريم([١]) ،وفي ذلك إشارة لارتباط القرآن الكريم بالعزة الإلهية لبيان أن عزة الكتاب فرع عن عزة الإله منزل الكتاب والذي هو كلامه – تبارك وتعالى.

٢- قوة القرآن وأثره العظيم في مجادلة غير المسلمين وغلبتهم:فالقرآن الكريم له تأثير عظيم وقوة كبيرة في أسر القلوب ، ذلك أنه يمثل الري للقلوب التي تتطلع للإيمان:[أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ]الأنعام ١٢٢ وقد بلغ تأثير القرأن مبلغاً عظيماً ، حتى إن القرآن الكريم في مرحلة من مراحل الدعوة كان أحد الوسائل الهامة في مجاهدة الكافرين ؛ولذا كان الأمر الإلهي للنبي الخاتم أن يجاهد به الكفار بقوله – تبارك وتعالى:[وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا]الفرقان٥٢ ، والمراد من هذا التوجيه هو استخدام النبي –صلى الله عليه وسلم– قوة وسلطان هذا القرآن في

[١] – من ذلك ما ورد في سور : البقرة ٢٠٩ ، آل عمران ٤ ، سورة إبراهيم آية ١ ، ٤ ، النمل ٧٨ ، سبأ ٦ ، يس ٥ ، الزمر ١ ، غافر ٢ ، الشورى ٣ ، الجاثية ٢ ، الأحقاف ٢ .

إبطال حجج الكافرين وصدهم عما هم عليه من كفر وضلال؛قال الطبري في تفسيرها:" وَلَكِنْ جَاهِدْهُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ جِهَادًا كَبِيرًا، حَتَّى يَنْقَادُوا لِلْإِقْرَارِ بِمَا فِيهِ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، وَيَدِينُوا بِهِ وَيَذْعَنُوا لِلْعَمَلِ بِجَمِيعِهِ طَوْعًا وَكَرْهًا"(١) وقد قام النبي – صلى الله عليه وسلم– بمجاهدة الكافرين بالقرآن الكريم في تلك المرحلة وغلبهم به حتى انقادوا خاضعين له لا يستطيعون مجاراة بلاغته،ولا يستطيعون الامتناع من تأثيره على قلوبهم ، وقلوب أشياعهم؛ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ حُدِّثَ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَأَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَالْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثَّقَفِيِّ، حَلِيفَ بَنِي زُهْرَةَ، خَرَجُوا لَيْلَةً لِيَسْتَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا يَسْتَمِعُ فِيهِ،وَكُلٌّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا ، فَجَمَعَهُمْ الطَّرِيقُ، فَتَلَاوَمُوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَعُودُوا، فَلَوْ رَآكُمْ بَعْضُ سُفَهَائِكُمْ لَأَوْقَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا حَتَّى إِذَا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ عَادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمْ الطَّرِيقُ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ انْصَرَفُوا، حَتَّى إِذَا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمْ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:لَا نَبْرَحُ حَتَّى نَتَعَاهَدَ أَلَا نَعُودَ: فَتَعَاهَدُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ أَخَذَ عَصَاهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي يَا أَبَا حَنْظَلَةَ عَنْ رَأْيِكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ وَاَللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ أَعْرِفُهَا وَأَعْرِفُ مَا يُرَادُ بِهَا، وَسَمِعْتُ أَشْيَاءَ مَا عَرَفْتُ مَعْنَاهَا، وَلَا مَا يُرَادُ بِهَا، قَالَ الْأَخْنَسُ: وَأَنَا الَّذِي حَلَفْتَ بِهِ (كَذَلِكَ) قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى أَتَى أَبَا جَهْلٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَكَمِ، مَا رَأْيُكَ فِيمَا

---

١ – تفسير الطبري ١٧/٤٧٠

سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ: مَاذَا سَمِعْتُ، تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ، أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطَوْا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّى إِذَا تَحاذَيْنَا عَلَى الرُّكْبِ، وَكُنَّا كَفَرَسَيْ رِهَانٍ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ السَّمَاءِ، فَمَتَى نُدْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ، وَاَللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَقَامَ عَنْهُ الْأَخْنَسُ وَتَرَكَهُ([1])، فهذه الرواية تدل على عزة القرآن الكريم وقوته في أسر قلوبهم ، وسيطرته على ألباب هؤلاء الذين انقادوا له تحت تأثير ما سمعوا ، وإن في هذا القرآن من القوة والسلطان، والتأثير العميق، والجاذبية التي لا تقاوم، ما كان يهز قلوبهم هزاً، ويزلزل أرواحهم زلزالاً شديداً فيغالبون أثره بكل وسيلة فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً ، ولقد كان كبراء قريش يقولون للجماهير:[لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ]فصلت٢٦ وكانت هذه المقالة تدل على الذعر الذي تضطرب به نفوسهم ونفوس أتباعهم من تأثير هذا القرآن وهم يرون هؤلاء الأتباع كأنما يُسحرون بين عشية وضحاها من تأثير الآية والآيتين، والسورة والسورتين، يتلوهما محمد ابن عبد الله– صلّى الله عليه وسلّم– فتنقاد إليه النفوس، وتهوى إليه الأفئدة،ولم يقل رؤساء قريش لأتباعهم وأشياعهم هذه المقالة، وهم في نجوةٍ من تأثير هذا القرآن، فلولا أنهم أحسوا في أعماقهم هزةً روعتهم ما أمروا هذا الأمر، وما أشاعوا في قومهم بهذا التحذير، الذي هو أدل من كل قول على عمق التأثير! ([2]).

٣- نفاسته وعجز المخلوقين عن الإتيان بشيءٍ يشبهه قط:القرآن الكريم كتاب الله –تبارك وتعالى– لا يوجد كتاب يشابهه في نظمه ولا في صياغته ؛ ذلك أنه تنزيل العزيز الحميد الذي أبان أنه أحكمه بحكمته البالغة:[الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ] هود ١.

---

١ – السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٧٦ ط شركة الطباعة الفنية المتحدة بتحقيق د طه عبد الرؤوف سعد ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٢٠٦/٢ ط دار الكتب العلمية – بيروت ط أولى ١٤٠٥ هـ ،

٢ – في ظلال القرآن ٥/ ٢٥٧١

- ووجه نفاسته يكمن في عدد من الحقائق الثابتة للقرآن الكريم، فهو الكتاب الذي حوى علوم الأولين والأخرين ، أخبر المؤتمن على تبليغه بما كان في القرون التي سبقته ، وأخبر عن غييات في عصره غابت عنه ولم يحضرها النبي بنفسه بل كان دوره –صلى الله عليه وسلم– فيها مقتصراً على مجرد البلاغ الصادق ، فلم يزد عليها شيئاً من عنده ، ولم ينتقص منها شيئاً قط:[فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ] الحاقة ٣٨ : ٤٨ .
- ومن نفاسته أنه الكتاب الذي أخبر عما سيكون في هذا الكون إلى يوم الدين في أساليب عامةٍ شاملة في إخبار عن كثير من الحقائق التي ستحدث وصدقها الواقع مثل ما أخبر به عن هزيمة الروم ثم انتصارهم بعد ذلك قبل أن يحدث ، وغيره من الأحداث .
- ومن نفاسته إتيانه موافقاً لأحدث ما وصله العلماء من القواعد العقلية والمنطقية مثل الافتراضات التي تحدث عنها القرآن الكريم في فرضيات جدلية رياضية لإثبات التوحيد اعتماداً على القواعد المنطقية الثابتة : [لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ]الأنبياء٢٢
- ومن نفاسته إخباره عما تكن الصدور وما يدور في العقول ، وما تحدث به النفوس أصحابها:[إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] آل عمران ١٢٢ ،[وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ] الأنفال ٧ ،[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ

الْمَصِيرُ] المجادلة ٨ ، وإخباره عن اليهود بحبهم الشديد لأي حياة : [وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ] البقرة ٩٦ وغير ذلك مما أخبر به القرآن من مكنونات الصدور.

- ومن ذلك أيضاً عظمة سبكه وجميل صياغته بحيث جاء كله على نسق عالٍ من التصديق لبعضه البعض دونما أي وجه من التناقض فيما بينه وبين بعضه البعض: [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا]النساء٨٢
- وقد أنزله الله – تعالى– بلسان العرب وجعله المعجزة البيانية الباقية التي عجز العرب قاطبة أن يعارضوها ، أو أن يجاروها في فصاحتها العالية ، قال تعالى:[وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ]الشعراء ١٩٥، وقد تحدى الله تبارك وتعالى المخلوقين جميعاً في الإتيان بشيء يشبهه فعجزوا جميعاً ؛ فبدأ في تحديهم أن يأتوا بمثل شيء منه فعجزوا:[أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ]هود ١٣ ، ١٤ فلما عجزوا عن ذلك تحداهم بأقل من ذلك فقال:[أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]يونس ٣٨ ، فلما عجزو تحداهم بأقل من ذلك ونفى قدرتهم على القيام بذلك التحدي نفياً قطعياً فقال:[وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ]البقرة ٢٣ ، ٢٤ ،ثم أعلن أن جنس الجن والإنس جميعاً لو اجتمعوا على هدف مشترك بينهم للإتيان بمثل القرآن فلن يستطيعوا إذاً أبداً ؛ فقال:[قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا]الإسراء ٨٨، " فَخَرَجَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا صَارَ مُعْجِزًا لِأَنَّهُ جَاءَ بِأَفْصَحِ الْأَلْفَاظِ فِي أَحْسَنِ نُظُومِ التَّأْلِيفِ مُضَمَّنًا

أَصَحَّ الْمَعَانِي مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيهِهِ فِي صِفَاتِهِ وَدُعَاءٍ إِلَى طَاعَتِهِ وَبَيَانٍ لِطَرِيقِ عِبَادَتِهِ فِي تَحْلِيلٍ وَتَحْرِيمٍ وَحَظْرٍ وَإِبَاحَةٍ وَمِنْ وَعْظٍ وَتَقْوِيمٍ وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ وَإِرْشَادٍ إِلَى مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَزَجْرٍ عَنْ مَسَاوِيهَا وَاضِعًا كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا مَوْضِعَهُ الَّذِي لَا يُرَى شَيْءٌ أَوْلَى مِنْهُ وَلَا يُتَوَهَّمُ فِي صُورَةِ الْعَقْلِ أَمْرٌ أَلْيَقُ بِهِ مِنْهُ ، مُودِعًا أَخْبَارَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ وَمَا نَزَلَ مِنْ مَثُلَاتِ اللَّهِ بِمَنْ عَصَى وَعَانَدَ مِنْهُمْ ، مُنْبِئًا عَنِ الْكَوَائِنِ الْمُسْتَقْبَلَةِ فِي الْأَعْصَارِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الزَّمَانِ جَامِعًا فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْحُجَّةِ وَالْمُحْتَجِّ لَهُ وَالدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ عَلَيْهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَوْكَدَ لِلُزُومِ مَا دَعَا إِلَيْهِ ، وَإِنْبَاءً عَنْ وُجُوبِ مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِتْيَانَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ وَالْجَمْعَ بَيْنَ أَشْتَاتِهَا حَتَّى تَنْتَظِمَ وَتَتَّسِقَ أَمْرٌ تَعْجَزُ عَنْهُ قُوَى الْبَشَرِ ، وَلَا تَبْلُغُهُ قُدْرَتُهُمْ فَانْقَطَعَ الْخَلْقُ دُونَهُ ، وَعَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ وَمُنَاقَضَتِهِ في شكله ، ثم صار المعاندون له ممن كفر به وأنكره يَقُولُونَ مَرَّةً إِنَّهُ شِعْرٌ لَمَّا رَأَوْهُ مَنْظُومًا ، وَمَرَّةً إِنَّهُ سِحْرٌ لَمَّا رَأَوْهُ مَعْجُوزًا عَنْهُ غَيْرَ مَقْدُورٍ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانُوا يَجِدُونَ لَهُ وَقْعًا فِي الْقَلْبِ وَقَرْعًا فِي النَّفْسِ يُرِيبُهُمْ وَيُحَيِّرُهُمْ فَلَمْ يَتَمَالَكُوا أَنْ يَعْتَرِفُوا بِهِ"([١]).

وقد ظل الأمر كذلك في جميع الأعصار المتتابعة والأزمنة المتتالية حتى يومنا هذا لم يفلح قوم راموا معارضة القرآن أو تحديه وفازوا بل خابوا وخسروا ، وكل يوم يكشف هذا القرآن شيئاً من أسراره ؛ برهاناً على صلاحيته لجميع العصور والأزمنة بيد أنه الكتاب الذي حوى الرسالة الخاتمة ، والذي نزل من الحكيم الخبير ، ولذا تجد تطابقاً غير محدود بين الحقائق والتصورات التي جاء بها القرآن ودعا الناس للإيمان بها ، وبين الحقائق والمعارف التي يصل إليها الناس بعلومهم التجريبية العملية وذلك عائد وراجع لكون هذا الكتاب صدر عمن خلق الكون وأودعه

---

١ – البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٠٤ ، ١٠٥ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط أولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ،وانظر / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/ ٦٧ ، الإتقان في علوم القرآن ٥/٤

أسراره، فتطابقت المعرفة العلمية التي يتوصل إليها الناس بالعلوم التجريبية مع الحقائق الإيمانية التي أودعها الله تبارك وتعالى كتابه ؛ لصدور الخلق والكتاب عن رب واحد وإله واحد ؛إعمالاً للحقيقة التي أقرها هذا الكتاب:[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] فصلت ٥٣ ،وذلك وجه عظيم من أوجه عزة هذا الكتاب الكريم.

٤- هو الكتاب الإلهي الوحيد الذي لم ولن تطاله يد التحريف: من فضل الله – تعالى – على البشرية أنه لم يتركهم هملاً للشيطان يتخطفهم ويضلهم ، بل بعث الحق تبارك وتعالى الأنبياء تترى متتابعين على الناس ؛ إرشاداً وهداية لهم إلى رب العالمين ، وقد تتابعت الهدايات على أيدي الرسل لأقوامهم أجمعين ، بعثوا بالكتب الهادية والمرشدة للناس لما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة:[لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ]الحديد٢٥ ،وكان كل نبي يبعث بلسان قومه كما أخبر الله تبارك وتعالى:[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]إبراهيم ٤.

وجميع هذه الكتب كانت موقوتة بفترة أنبيائها ، لم تتنزل لتأخذ صفة الخلود في العمل والبقاء ، بل كانت موقوتة بوقت الرسالة التي هي دليلها وجامعها ، وهذا من ضمن فروقات الكتب السماوية للرسالات السابقة عن القرآن الكريم ([١]) وسر ذلك أنها جاءت لتعالج فترة معينة كمرحلة من تاريخ الدعوات.

---

١ – النبأ العظيم ٤٢/١ الشيخ محمد عبدالله دراز ، ط دار القلم للنشر والتوزيع ٢٠٠٥ م ، مباحث في علوم القرآن ١٨ للشيخ مناع القطان ، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ٢٠٠٠م

لكن لحق معظم هذه الكتب التحريف والتبديل والتغيير ، وانقطاع السند ([1]) ما أدى إلى عدم دقة ما نقل منسوباً إلى الله عنهم ، وذلك أن الله –تبارك وتعالى– قد أسند حفظ تلك الكتب إلى من نزلت فيهم تلك الكتب فقال سبحانه:[إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ] المائدة ٤٤ ، وقد أثبت القرآن الكريم أن علماء تلك الأمم كانوا يحرفون كلام الله فقال: [أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ]البقرة٧٥ وجعل الله تبارك وتعالى ذلك سبباً للعنهم وطردهم من رحمة الله فقال:[فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ]المائدة ١٣.

وقد نال ذلك معظم الكتب الإلهية حتى جاء القرآن الكريم الذي أنزله الله – تبارك وتعالى– ليكون دستور الدعوة الإلهية الخاتمة ، فهو آخر كتاب إلهي مرسل من الله –تعالى– لأهل الأرض ، شمل الرسالة الخاتمة ، ووضع الله فيه مواصفات تؤكد على صلاحيته لكل آن ولكل زمان ليكون دستور الإصلاح والتقويم والانحراف الذي يضرب البشرية في أزمانها المتعاقبة ، أنزله الله تبارك وتعالى باللغة العربية الواضحة، التي ارتضاها أن تكون وعاء كتابه لما فيها من قدرة على شمول المعاني التي يحتاجها بنو آدم في كل جيل من أجيالهم المتعاقبة : [وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ] النحل ١٠٣ ، [وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ] الشعراء ١٩٢ : ١٩٦ .

---

١ – النبأ العظيم ٤٢/١ ، انظر مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ٦٣/١ ، الشيخ عدنان محمد زرزور ط دار القلم / بيروت ١٩٩٨

ومن أهم ما اختص به القرآن الكريم ككتاب إلهي هو تكفل الله – تعالى– بحفظه بنفسه ، وأنه – تعالى– لم يترك حفظه لأحد من خلقه؛فقال:[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]الحجر٩ ، وقد كان ما وعد الله تبارك وتعالى به من حفظ القرآن الكريم،" وَشَمَلَ حَفِظُهُ الْحِفْظَ مِنَ التَّلَاشِي، وَالْحِفْظَ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ فِيهِ، بِأَنْ يَسَّرَ تَوَاتُرَهُ وَأَسْبَابَ ذَلِكَ، وَسَلَّمَهُ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ حَتَّى حَفِظَتْهُ الْأُمَّةُ عَنْ ظُهُورِ قُلُوبِهَا مِنْ حَيَاةِ النَّبِي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَاسْتَقَرَّ بَيْنَ الْأُمَّةِ بِمَسْمَعٍ مِنَ النَّبِي– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَارَ – حُفَّاظُهُ بِالِغِينَ عَدَدَ التَّوَاتُرِ فِي كُلِّ مِصْرٍ" ([1]).

وأمر التبديل في القرآن أو تحريفه مردود ودعوى غير جائزة بحال من الأحوال ، حتى إن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد بريء من المشاركة فيها أو الاستجابة إليها حين اقترحها عليه المشركون في محاولاتهم المتتابعة لحرف النبي عن دعوته : [وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ] الفرقان ١٥ : ١٧، بل إن الله تبارك وتعالى قد أبان أن النبي لو استجاب لتلك الاقتراحات لأخذه الله – تبارك وتعالى– بسنته في الانتقام ممن خالفه ، فهذه القضية لا تحتمل رخاوة فيها،ولايمكن التساهل بحال من الأحوال فيها:[إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ] الحاقة ٤٠ : ٤٨ وقد ثبت أن القرآن الكريم حفظه الله –

[1] – التحرير والتنوير ٢١/١٤

تعالى– بحفظه بأن يسر لهذه الغاية السامية جميع بني البشر مؤمنهم وكافرهم ، بل يمكن القول إن التقدم التقني والمعرفي في جميع فروع المعرفة الإنسانية شارك بشكل كبير في إنفاذ موعود الله – تعالى– بحفظ كتابه الكريم ولو جاءت هذه المعرفة على يد غير المؤمنين بهذا الكتاب أصلاً ؛ لتكون كلمة الله –تعالى– هي العليا ويحقق– سبحانه وتعالى– وعده بحفظ كتابه ، ويظل وعد الله – تعالى: [وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]الحجر٩ عاملاً في كل زمان ومكان وفق ما يستجد من وسائل تنفذ هذا الوعد الإلهي، فجاء هذا الحفظ للكتاب وجهاً من أوجه عزة هذا الكتاب التي أحاطت بالكتاب من كل جانب .

٥- أنه الكتاب الذي صدَّق وهيمن على ما بين يديه من كتب إلهية سبقته : فببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم انتقلت القوامة الدينية من أهل الكتاب سابقاً إلى أمة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم ؛ لما عرف أن كتبهم قد نالتها يد التحريف والتبديل ، وأن أهل الكتاب أضحوا غير أمناء على حمل الرسالة الإلهية ، وأن الكتاب الوحيد الذي لم تنله يد التحريف إنما هو القرآن الكريم ، ولذا كان من أخص أوصاف هذا الكتاب التي تحدث عنها الله – تبارك وتعالى هي: [وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ]المائدة٤٨ قال الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى : جَعَلَ اللَّهُ هَذَا الْكِتَابَ الْعَظِيمَ الَّذِي أَنْزَلَهُ آخِرَ الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها حَيْثُ جَمَعَ فِيهِ مَحَاسِنَ مَا قَبْلَهُ، وَزَادَهُ مِنَ الْكَمَالَاتِ، مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِ، فَلِهَذَا جَعَلَهُ شَاهِدًا وَأَمِينًا وَحَاكِمًا عَلَيْهَا كُلِّهَا وَتَكَفَّلَ تَعَالَى بِحِفْظِهِ بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، فَقَالَ – تَعَالَى: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ [الْحِجْرَ: ٩]([١]).

[١] – تفسير القرآن العظيم ١١٦/٣ للحافظ ابن كثير ، وانظر تفسير الطبري ٤٨٦/٨ ، تفسير الرازي ٣٧١/١٢

فهذا القرآن تأتي عزته من كونه أصبح هو الحاكم على غيره من الكتب الإلهية التي سبقته غير محكوم عليه بشيء منها ، وفي ذلك لون من ألوان العزة له،وَقَدْ أَشَارَتِ الْآيَةُ إِلَى حَالَتَيِ الْقُرْآنِ بِالنِّسْبَةِ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، فَهُوَ مُؤَيِّدٌ لِبَعْضِ مَا فِي الشَّرَائِعِ مُقَرِّرٌ لَهُ مِنْ كُلِّ حُكْمٍ كَانَتْ مَصْلَحَتُهُ كُلِّيَّةً لَمْ تَخْتَلِفْ مَصْلَحَتُهُ بِاخْتِلَافِ الْأُمَمِ وَالْأَزْمَانِ، وَهُوَ بِهَذَا الْوَصْفِ مُصَدِّقٌ، أَيْ مُحَقِّقٌ وَمُقَرِّرٌ، وَهُوَ أَيْضًا مُبْطِلٌ لِبَعْضِ مَا فِي الشَّرَائِعِ السَّالِفَةِ وَنَاسِخٌ لِأَحْكَامٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كُلِّ مَا كَانَتْ مَصَالِحُهُ جُزْئِيَّةً مُؤَقَّتَةً مُرَاعًى فِيهَا أَحْوَالُ أَقْوَامٍ خَاصَّةٍ ([١]).

٦- أنه شرف عظيمٌ لكل من تمسك به :فالقرآن الكريم شرف في نفسه لمن نزل عليه ، وشرف لمن نزل بلغتهم ، كما أنه شرف لمن عمل به ، وهو أعلى درجات العزة التي تشرف صاحبها وحاملها،والقرآن الكريم ذاته تحدث في إثبات هذا الشرف في غير موضع منه ،ففي معرض الحديث عن شرف القرآن ذاته قال الله تعالى:[ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ] ص ١، ٢ وجمهور المفسرين أن قوله:[ذِي الذِّكْرِ]يعني : ذِي الشَّرَفِ أَيْ ذِي الشَّأْنِ وَالْمَكَانَةِ([٢]) ومما يرجح التفسير بهذا الوجه رد الله – تبارك وتعالى– في الآية التالية لهذه الآية بأداة الإضراب أن المشركين في عزة مذمومة وشقاق من أمرهم ، فأبان أن القرآن ذي العزة والشرف هو الذي يجب على المشركين اتباعه إذا كانوا يرومون العزة الحقيقية بدلاً من الحمية الجاهلية التي هم عليها، والتي يعتقدون أنها تحقق لهم شيئاً من التعزز في تصور خاطيء.

كما أن القرآن ذاته قد شرف اللغة التي تنزل بها ، فانتقلت من مجرد لغة خاصة تخص جنساً من بني البشر يقطنون شبه الجزيرة العربية لتصبح وعاءً لكتاب الله – تعالى– الذي بها يتلى ، فخرجت من طور الإقليمية لطور العالمية ، فشرفت

---

[١] – التحرير والتنوير ٦/٢٢١

[٢] – انظر تفسير الطبري ٢٠/ ٨: ١٠ ، وتفسير ابن كثير ٧/٤٣

اللغة العربية به أيما شرف؛ حتى إن المسلمين من جميع الأجناس قد أضحوا مطالبين بتعلمها كي يتمكنوا من قراءة الكتاب الذي حوى رسالتهم ومثل الدستور الخالد لشريعتهم.

وكذلك فقد شرف هذا الكتاب القوم الذين نزل القرآن بلسانهم ؛ فقال تعالى في ذلك:[فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ]الزخرف ٤٣،٤٤ ،" فأما الشرف بالنسبة للرسول- صلّى الله عليه وسلّم- فإن مئات الملايين من الشفاه تصلي وتسلم عليه، وتذكره ذكر المحب المشتاق آناء الليل وأطراف النهار منذ قرابة ألف وأربع مئة عام، ومئات الملايين من القلوب تخفق بذكره وحبه منذ ذلك التاريخ البعيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأما قومه فقد جاءهم هذا القرآن والدنيا لا تحس بهم، وإن أحست اعتبرتهم على هامش الحياة،وهو الذي جعل لهم دورهم الأكبر في تاريخ هذه البشرية، وهو الذي واجهوا به الدنيا فعرفتهم ودانت لهم طوال الفترة التي استمسكوا فيها به، فلما أن تخلوا عنه أنكرتهم الأرض، واستصغرتهم الدنيا وقذفت بهم في ذيل القافلة هناك، بعد أن كانوا قادة الموكب المرموقين!([١])؛ فنقلهم الله تبارك وتعالى به من رعاة للإبل والغنم إلى قادة وسادة للشعوب والأمم ، فأوضح سبحانه أن القرآن الكريم هو الشرف الذي أتى به محمد قومه فقال: [لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ]الأنبياء ١٠.

كما أن القرآن الكريم أوضح أن القرآن الكريم سبب العز والشرف ، وأن من أعرض عنه لا ينال إلا الخسار والذلة فقال: [كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا]طه ١٠٠، وعليه فالقرآن الكريم عزيز كما وصفه ربنا تبارك وتعالى.

[١] - في ظلال القرآن ٥/ ٣١٩١

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذه وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وبعد هذه السياحة في كتاب الله تبارك وتعالى في صحبة موضوع قرآني أصيل يتصل بشكل كبير بصفة إلهية عظيمة وهي صفة العزة الإلهية يمكننا القول :

١- إن العزة الإلهية صفة من صميم صفات الخالق – سبحانه وتعالى– أثبتها لذاته العلية ؛ بوصفه ذاته تبارك وتعالى بالعزة في كثير من آيات القرآن الكريم تزيد عن الثمانين موضعاً .

٢- العزة الحقة التي يجب على الناس أن يطلبوها إنما هي العزة التي تتحقق في رحاب الإيمان بالله – تبارك وتعالى– وليست العزة القائمة على الحمية الجاهلية.

٣- أن المالك للعزة والمانحها عباده هو الله –تبارك وتعالى:[قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]آل عمران ٢٦

٤- أن الله تبارك وتعالى قد أبان ملكيته الكاملة للعزة الحقة:[فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا]النساء ١٣٩،فمن أراد عزاً فعليه أن يطلبه بالطريق الذي حدده الله: [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ]فاطر ١٠.

٥- أن كل عزة بعيدة عن طريق الإيمان تتحول سبباً لشقاءٍ دائم ، وأن من طلب العزة بعيداً عن الله – تبارك وتعالى ذل:[بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا]النساء ١٣٨ ، ١٣٩ .

٦- ربَّى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين على التخلق بهذا الخلق العظيم ، وأرشدهم أن العزة الحقة هي التي يمتلكها الله تبارك وتعالى:[يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ

لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ]المنافقون ٨.

٧- الله –تبارك وتعالى– هو المالك الحق للعزة بكل مجالاتها من عزة القوة والقدرة ، وعزة القهر والغلبة وعزة التفرد والامتناع؛ ولذا فإن جميع هذه الأفعال وما يتفرع عنها يجب ألا يطلبها المؤمن إلا من حيث توجد، ولا يركنن المؤمن إلا لله القوي العزيز.

٨- أن العزة القرآنية فرع عن العزة الإلهية المختصة بالله – تعالى ؛ ذلك أن القرآن تنزيل من العزيز الحميد ، ولذا فقد وصفه الله تعالى بالعزة في قوله: [وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ] فصلت ٤١ .

٩- تعددت أوجه العزة القرآنية وصورها؛ كونه كلام الله تعالى العزيز ، وهو الغالب بالحجة لكل مجادل له ، ونفاسة قدره وعجز المخلوقين عن مجاراته ، وهو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله بحفظه بنفسه ، وهو الكتاب المهيمن على غيره من الكتب؛ ولذا فمن أراد شرفاً وكرامة وعزة وعزاً فالقرآن يكفيه.

أسأل الله –تعالى– أن يتقبل هذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، والحمد لله أولاً وآخراً

[وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]يونس ١٠

قائمة المراجع والمصادر التي تم الاستعانة بها في البحث

١- القرآن الكريم.

٢- الاشتقاق أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م

٣- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الثانية، بدون تاريخ .

٤- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ، ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، طبعة الأولى، /٢٠٠٣م

٥- الإتقان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،الناشر:الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٦- البحر المحيط في التفسير أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، طبعة: ١٤٢٠ هـ .

٧- البحر المديد ٩٣/٢ أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي المتوفى: ١٢٢٤هـ .

٨- البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٠٤ ، ١٠٥ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط أولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه .

٩- التبيان في تفسير غريب القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ) المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت.

١٠- التحرير والتنوير:تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ٢٢ / ٢٧١ ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، ط الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.الثمر

١١- **الثمر** المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة ص ١٧ المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني نشر: مطبعة سفير، الرياض ، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض .

١٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

١٣- الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م .

١٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت .

١٥- السلسلة الصحيحة أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري ، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

١٦- السيرة النبوية لابن هشام ط شركة الطباعة الفنية المتحدة بتحقيق د طه عبد الرؤوف سعد ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٢٠٦/٢ ط دار الكتب العلمية – بيروت ط أولى ١٤٠٥ هـ ،

١٧- القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ،

١٨- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩،

١٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ط دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٠- اللباب في علوم الكتاب أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، ط دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان، ط أولى ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م .

٢١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (المتوفى: ٢٦١هـ) ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٢- المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتحقيق(إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات / حامد عبد القادر /محمد النجار) ط دار الدعوة .

٢٣- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف لنووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ط ٢ ١٣٩٢ هـ .

٢٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢٥- الموسوعة القرآنية المتخصصة المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ،عام النشر: ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٢٦- النبأ العظيم ،الشيخ محمد عبدالله دراز ، ط دار القلم للنشر والتوزيع ٢٠٠٥ م.

٢٧- النكت والعيون أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٢٨- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

٢٩- انظر اللباب في علوم الكتاب أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ط دار الكتب العلمية ، بيروت ط أولى ١٩٩٠ م.

٣٠- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

٣١- أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) بتحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٣٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م ،

٣٣- بدائع الفوائد للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، ط دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

٣٤- بصائر ذوي التمييز مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .

٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ط دار الهداية .

٣٦- تفسير البيضاوي ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

٣٧- تفسير السراج المنير محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين ، ط دار الكتب العلمية . بيروت .

٣٨- تفسير الشعراوي – الخواطر المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم .

٣٩- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ط ١٩٩٠ م .

٤٠- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) ، بو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،المحقق: محمد حسين شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

٤١- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٤٢- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم ط دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة ط ٤ بدون تاريخ .

٤٣- تفسير أسماء الله الحسنى ، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) بتحقيق: عبيد بن علي العبيد ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد ١١٢ – السنة ٣٣ – ١٤٢١هـ .

٤٤- تفسير أسماء الله الحسنى،إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، بتحقيق: أحمد يوسف الدقاق الناشر: دار الثقافة العربية.

٤٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) مؤسسة الرسالة ، ط أولى ٢٠٠٠ م

٤٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ط دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

٤٧- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري / دار الفكر ١٩٨٨ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش.

٤٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي أبو الفضل ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٩- زاد المسير في علم التفسير ، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ،المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ ٢٦٢/٧

٥٠- شأن الدعاء ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) بتحقيق أحمد يوسف الدّقاق ، الناشر: دار الثقافة العربية الطبعة: الثالثة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

٥١- شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج

أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ،أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند،الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

٥٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ،المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)،المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ .

٥٣- في ظلال القرآن ،سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) ط دار الشروق ، بيروت – لبنان ط لسابعة عشر – ١٤١٢ هـ .

٥٤- لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) ،المحقق: تصحيح محمد علي شاهين ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ .

٥٥- لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ط دار صادر – بيروت ، بدون تاريخ .

٥٦- مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان ، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ٢٠٠٠م .

٥٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ط دار الكتاب العربي بيروت ط الثالثة ١٩٩٦ م .

٥٨- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ، الشيخ عدنان محمد زرزور ط دار القلم / بيروت ١٩٩٨ .

٥٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ .

٦٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

٦١- معجم الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٦٢- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ط مكتبة الآداب القاهرة ٢٠٠٤ م بتحقيق أ.د محمد إبراهيم عبادة.

٦٣- مفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، ، ط دار الكتب العلمية – بيروت – ط أولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م.

٦٤- مفردات ألفاظ القرآن الكريم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم نسخة محققة ط دار القلم دمشق.

٦٥- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن / ط مؤسسة الرسالة – لبنان / بيروت –ط أولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م بتحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي .

٦٦- مختار الصحاح ، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ط مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ط أولى ١٩٩٥ ،

٦٧- معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر.